مشخصات الكتاب

اسم الكتاب : معطيات آية المودة
المؤلف : آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي (دام ظله)
الناشر : مكتب آية الله السيد محمود الهاشمي / النجف الأشرف
العدد : ٥٠٠٠
المطبعة : الاميرة

الطبعة الأولى ١٤٠٣

الطبعة الثانية ١٤٣٢

سلسلة من هدى الإسلام
١

معطيات

آيـة المـــودة

لآية الله العظمى

السيد محمود الهاشمي "دام ظله"

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تتضمن هذه الحلقة مجموعة من المحاضرات التي ألقاها سماحة أية الله العظمى السيد محمود الهاشمي "دام ظله" في شهر محرم الحرام سنة ١٤٠٣ هـ ، فإنها تتضمن معان عديدة جاءت بها من خلال معالجة مفهوم (مودة أهل البيت "عليهم السلام") فقد بينت بجلاء أن المراد بهذه المودة إنما هي المودة الرسالية التي هي في الحقيقة مودة ومحبة لأصل الرسالة ، وليست مودة مرتبطة برباط عاطفي أو عشائري خاص . إن هذه المودة التي تأمر السماء بها تمثل حباً وتعليقاً بأصل الرسالة وأمتداداً حقيقياَ للمودة الإلهية ، وهؤلاء يمثلون الثقل الإلهي في الأرض والرموز التي تجسّد القمة في الكمال ومن خلالهم سوف تتصل الأرض بالسماء . بالأضافة إلى أن إقامة العدل في الأرض بحاجة إلى رسالة صالحة والى صيانة لهذه الرسالية فإذا علمنا أن مصدر الرسالات السماء ، فأن مسؤولية التنزيل والتأسيس للرسالة تقع على

عاتق الرسول (ص)، ومسؤولية الصيانه من الانحراف يتكفل بها خط الإمامة .

إن مودة أهل البيت"عليهم السلام" في نفسها وسيلة وهدف والإلتزام بمستلزمات هذه المودة هي الأنطلاقة الجادة نحو تكريس الخط الإلهي في الحياة .

مكتب
سماحة آية الله السيد محمود الهاشمي
النجف الأشرف

المحاضرة الأولى

١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة والسلام على قائد المسيرة الصالحه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كنت أقرأ القرآن الكريم هذا اليوم[١] فمررت بهذه الآية ففكرت أن أجعلها موضوع حديثنا هذه الليلة وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [٢] .

هذه الآية الواردة في سورة الشورى وقعت مثاراً للبحث عن المفسرين ، ولوحظ عليها أنها ربما تكون منافية ومخالفة مع ظاهر بعض الآيات الأخرى ، التي تقول لا أسئلكم عليه من أجر ، حيث تنفي أن يكون للنبي (ص) أجر على الرسالة ، حتى أدعي من قبل بعضهم أنها منسوخة بتلك الآيات التي تنفي مطلق الأجر ، وأيضاً لوحظ عليها أن هذه الآية المباركة ربما بالتفسير الذي يفهمه الإنسان العرفي واللغوي الاعتيادي من الآية لا تكون مناسبه مع مقام النبوة ، فكيف أن النبي

(١) عام ١٤٠٣هـ .
(٢) الشورى : ٢٣ .

(ص) وهو في قمة الموضوعية والفناء في الله سبحانه وتعالى يفترض فيه أنه يطلب على رسالته وتبليغه للرسالة أجراً هو المودة في قرباه الذي ربما يعطي نوعاً من الإهتمام بالأهل والعشيرة ونحو ذلك ، هذه الأمور التي نحن نعلم أن النبي (ص) أبعد الناس عنها وعن التوهم أن يتصدى لتثبيت مكاسب من هذا القبيل لعشيرته أو لأقربائه أو لأرحامه، لكن هنا أتجه بعض المفسرين إلى تفسير الآية وتأويلها بشكل آخر :

أ - فسروها تارة بأن المقصود في المودة في القربى هو التودد في القرب إلى الله سبحانه وتعالى ، القربى يعني التقرب إلى الله فلا اسئلكم عليه أجراً إلا ان تتوددوا في التقرب إلى الله وتلحون في التقرب إليه [1].

ب- فسروها بتفسير من هذا القبيل تارة وفسروها أخرى بأن المقصود بالمودة في القربى أن هذا الخطاب إلى المشركين القريشيين الذين كانوا معارضين للنبي(ص) في مكة وسورة الشورى (هي من السور المكية) فكأنه خطاب لهؤلاء لا أسئلكم عليه من أجر إلا أن تحفظوا قرابتي منكم فلا تكون الآية على هذا خطاباً للمؤمنين بل

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج ٩ : ٤٣ .

هي خطاب للمشركين[١]، وهناك تفسيرات أخرى ، طبعاً هذه التفاسير من الواضح أنها على خلاف الظاهر القرآني الذي يستفيد منه الإنسان .

أولا :

إن كلمة القربى بمعنى التقرب غير مستعملة في اللغة العربية لكي تستعمل كلمة القربى في هذه الآية بمعنى التقرب إلى الله وإنما القربى تستعمل بمعنى الأقرباء ، فلو راجعنا المعاجم اللغوية لما وجدنا لهذا التفسير فيها لكلمة القربة من عين ولا أثر [٢].

وثانيا:

سياق الآية سياق الاجر ولا معنى أن تقول الآية لا أسئلكم عليه من أجر إلاّ التقرب إلى الله تعالى لأن هذا ليس أجراً بحسب الحقيقة وإنما الذي يؤدي التقرب إلى الله سبحانه وتعالى هو نفس الرسالة ، نفس الأحكام التي وردت في الرسالة فيها وبها التقرب إلى الله تعالى وهذا التقرب إلى الله هو نفس الرسالة الإلهية التي جاء بها النبي محمد(ص) وبلغ بها، التي لا يسئل عليها أجراً ولا يمكن أن يكون الأجر نفس المأجور عليه .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ج ٩ : ٤٣ .

(٢) لسان العرب لأبن منظور .

كما أن أفتراض أن الآية تخاطب قريش هذه .

أولا: من الناحية التاريخيه غير صحيح لأن هذه الآية بالذات من الآيات المدنية ، ومن الآيات الواردة في أواخر الأيام في المدينة في فترة وجود النبي (ص) في المدينة ، نعم أكثر آيات سورة الشورى هي مكية إلاّ أن هذه الآية أعتبرها الكثير من المؤرخين والقراء من الآيات المدنية[1] وليست من الآيات المكية .

ثانيًا : مضافاً إلى أنه لا معنى لأن النبي(ص) يخاطب قريش الذين هم لم يكونوا يؤمنون بهذه الرسالة فيطلب منهم أجراً ، إن هؤلاء الذين كانوا أعداء النبي(ص) ويعارضون النبي ويمنعون النبي (ص) عن التصديق برسالته، لا معنى لأن يقال لهم لا أسئلكم عليه من أجر إلا المودة في القربى .

فهذه التفاسير في الواقع هي محاولات يستدل بعض من لم يرق ولا يروق لهم معنى هذه الآية ، يفكرون أن يأوّلوا أو يفسروا الآية بتفسير يبعدها عن المعنى الحقيقي الظاهري للآية سيما إذا لاحظنا أن الروايات الواردة في كتب الفريقين السنّة والشيعة معا في تفسير هذه الآية أو منفصلة عن هذه الآية لعلها متواترة[2] ، بحيث لا يمكن الخدش

(١) مجمع البيان للطبرسي .

(٢) أنظر تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج ٦: ٣٦٤ ؛ الميزان للطباطبائي ج ١٨ : ٤٦ و٥١-٥٢ .

والمناقشة فيها، الرويات الواردة كثيرة والمحاججات التي وقعت بين الأئمة "عليهم السلام" وبين بعض المخالفين ، نظير قضية الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام عندما يقول لذلك الشامي (هل قرأت القرآن) يقول نعم فيتلو علية الإمام عليه السلام هذه الآية ويقول له نحن القربى ، فقد أخرج أبن جرير عن أبي الديلم قال : لماجيء بعلي بن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم . فقال له علي بن الحسين أقرأت القرآن . فقال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : نعم . قال : أمّا قرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ؟ قال : فإنكم لأنتم هم ؟ قال: نعم [1]. أمثال هذه المحاورات والمحادثات كثيرة في حياة الأئمة ، هذه أيضاً من الأمور المسلمة فمجموع الروايات الواردة والفهم الذي كان يستدل به الإمام عليه السلام وإذا لم تكن لهذه الآية مفهوماً هو هذا المفهوم إذن كيف يستطيع الإمام عليه السلام أن يخاصم به الطرف الآخر ويحتج به ، معنى ذلك أن الطرف الآخر كان يفهم أن معنى الآية هو هذا المعنى (لا التقرب إلى الله) وهذه في الواقع تمحلات وتعسفات من هؤلاء الذين يريدون أن يحرفوا الآية ويحرفوا الكلم عن مواضعه،

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦ : ٧ ؛ تفسير الآلوسي ج٢٥ : ٣١.

ويفسرون الآية بتفسير على خلاف ظاهرها وخلاف ما تواترت الروايات وأكدت أنه هو المقصود وهو المعنى الظاهر لهذه الآية ، التفسير الصحيح للآية : إن معنى الآية المودة في قربى النبي (ص)، أي لا أسئلكم أجراً على الرسالة التي تصدعت بها إلا أن تحفظوا مودتكم للقربى يعني لأقرباء النبي(ص) طبعاً ، وقد فسر وطبق النبي(ص) بنفسه القربى أيضاً بروايات كثيرة واردة عنه ، طبق القربى على أصحاب الكساء الخمسة يعني على الأئمة المعصومين "عليهم السلام" هذا أيضاً وارد في روايات الطرفين[1]، إذن فلا ينبغي أن نناقش في أن الآية تاريخياً ظاهرها وسياقها هو هذا المعنى وهذا هو الذي يناسب أن يكون أجراً على التصديع بالرسالة وأيضاً الروايات في تفسير الآية تؤكد هذا المعنى في الآية ، الروايات الواردة من قبل العامة والخاصة وتاريخ تعامل الأئمة في مجتمع المسلمين وفي محاججاتهم مع الأشخاص المخالفين أيضاً يدل على أن هذا المعنى، هو الظاهر والمتفاهم من قبل عامة المسلمين وعلمائهم في ذلك الزمن (زمن الأئمة) ولم يرد من أحد منهم في هذه المباحثات والمحاورات، الإشكال في أن هذه الآية ليس معناها ذلك ، كانوا يسلمون أن الآية معناها

(١) الكافي ج ٨ : ٩٣ ؛ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ : ١٠٣ .

المودة في قربى الرسول (ص) وهم أهل بيته، وما قيل أو يقال من أن هذه لا يناسب النبي(ص) وأن يطلب أجراً على رسالته، على تصديه برسالته والأجر هو حفظ قرابته والمودة لأقربائه ، هذه الشبهة أيضاً واضحة الجواب بأعتبار أن هذا الأجر في الواقع وإن كان بحسب الظاهر والصورة أجراً للنبي ، حيث أن القربى قربى النبي (ص) ، ولكن واقعاً أجر يعود على المأجور لا على المستأجر ، هذا نفعه سوف يعود على المستأجر لا على المأجور ، على الطرف الآخر الذي يريد أن يدفع هذا الأجر، لأن المقصود من التودد للقربى لم يكن هو تعظيم الجانب العشائري للنبي(ص) ، سيما لو لاحظنا أن النبي (ص) كان له قربى مع كل بطن من بطون قريش كما ورد في بعض التواريخ[1]، أن النبي كان من أسرة عريقة واسعة العلاقات والأرتباطات والقرابات مع أكثر الطوائف والنبي أصلاً لم يلتفت إلى أولئك ، وقد ورد في ذم كثير من أعمامه أو بني أعمامه آيات وأحاديث ، قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [2] .

(١) عمدة القاريء للعيني ج١٩ : ١٥٧ .
(٢) المسد ١-٥ .

إذن فهذه الشبهة موضوعاً مندفعة لأنها إنما تتسنى لو كان المقصود واقعاً تثبيت الأرحام وتثبيت الأقرباء والأقوام، بينما ليس هذا المقصود وإنما المقصود هوتثبيت خصوص أناس معينين وهو من عبرت عنهم الآية المباركة بأهل البيت "عليهم السلام" الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقد خصتهم بذلك المعنى ، وأن سائر الوشائج والعلائق القريبة كلها قد أهملها النبي(ص) ولم يلتفت إليها ولم يركز عليها ولم يتوجه إليها بأي توجه ، فهذه المحبة للقربى ليس بعنوان كونهم قربى وإلاّ فعم النبي(ص) أيضاً له، أبن عباس أيضاً قريب من النبي(ص) ، زوجات النبي أيضاً من أقرباء النبي بمعنى من المعاني، لا يوجد في حقهم أي تأكيد وأي توجه وأي حكم من هذا القبيل بل كانت حياة النبي وتربيته واضحة في مكة والمدينة ، أنه لا يهتم في هذه الحيثيات القومية والقبلية والعشائرية، بل العكس صحيح، فقد ثار ضد هذه الأعراف وضد هذه التقاليد والنزعات التي قد تكون في المجتمعات الجاهلية القديمة والحديثة معاً بمختلف الأشكال والصور والصياغات ، بل كان منذ البداية من أوليات رسالته رفض تام لهذه القضايا وشجبها وجعل المبدأ والعقيدة والتقرب إلى الله والألتزام بطاعة الله هو الأساس، التقوى هي الميزان في كرامة الإنسان وفي

القرب والبعد حتى يجعل سلمان الذي هو فارسي الأصل يجعله محمدياً والرسول يصفه (سلمان منا أهل البيت) [١]. إذن فحياة النبي (ص) وسلوكه وكلماته وتربيته كانت قائمة على شجب هذه الفكرة بهذا الشكل فكيف يمكن أن يبين مطلباً يكون مناقضاً مع تلك الأسس التي ربّى الناس عليها وعلّم الناس بها ، تلك المبادئ الإسلامية القيمة ، ولهذا عندما وردت هذه الآية لم يقع المسلمون في التناقض بين هذه الآية وبين تلك التربية والمبادئ ، ولم يستشكلوا على النبي (ص) بأنه كيف تطلب أجراً على رسالتك ، هو تعظيم وتقدير طائفته مثلاً ، لماذا ؟ لأن الآية لا تريد القربى بذلك المعنى ، إنما القربى كان واضحاً في زمن النبي (ص) ، إنهم أناس مخصوصون، النبي(ص) كان دائماً يعبّر عنهم بالقربى وأهل البيت ، والروايات الواردة في التواريخ العامة والخاصة على أن النبي (ص) كان دائماً حريصاً على أن يخصص هذا العنوان (عنوان القربى وعنوان أهل البيت) بأهل البيت، يعنى بفاطمة الزهراء والإمام علي بن أبي طالب والحسنان "عليهم السلام" ، أصحاب الكساء ، إذا نستعرض الروايات الواردة والتواريخ ونجمعها من مواضعها المتفرقة في التاريخ والكتب الفقهية وكتب التراث نجد أن

(١) نفس الرحمان في فضائل سلمان للمحدث حسين النوري : ٢٨-٣٦ .

النبي (ص) حريصاً جداً على أن هذا العنوان لا يطبقه إلاّ على هؤلاء الخمسة وكأنه صار مصطلحاً وعلماً لهم كما في علم الأصول يقولون (حقيقة شرعية) هذا صار (حقيقية نبوية) ، كلمة القربى وأهل البيت"عليهم السلام" في التراث الإسلامي والنبوي أصبح مصطلحاً خاصاً بأصحاب الكساء (أهل البيت) ، إذن فهذه الآية هي بحسب الحقيقة تدل على أن أجر الرسالة إنما هو مودة ومحبة أهل البيت"عليهم السلام" ، وهذا الأجر أمر بحسب الحقيقة يرد خبره على نفس الناس بأن الناس عندما يتوددون ويحبون أهل البيت"عليهم السلام" بهذا يرتبطون بالنبي (ص) ارتباطاً أكثر ويرتبطون برسالة النبي(ص) ارتباطاً أكثر ، فأيضاً ترجع خيرات وبركات هذا الأجر إلى المسلمين ، إلى من سئل منهم الأجر ، فصورته أجر وواقعه ليس بأجر .

لماذا عبرت الآية بالأجر ؟!

وإنما عبّر عنه بأجر لنكتتين :

النكتة الأولى : أنهم قربى النبي(ص) وهم القربى المصطلح عليهم من قبل النبي(ص) فمن المناسب أدبياً ولفظاً أن يسمى ويصطلح على مودتهم بكلمة أجر وإلاّ واقعاً ليس أجراً ، بل هذا أيضاً شيىء من قبل النبي(ص) إلى الناس لا من الناس إلى النبي

(ص) ، من قبل الله تعالى إلى الناس وليس من قبل الناس إلى الله سبحانه وتعالى ، الناس عندما يتحببون ويتوددون إلى القربى يستفيدون في تقربهم من النبي(ص) من الرسالة التي جاء بها النبي (ص) فواقعاً ليس أجراً وإنما هو لطف آخر من الله سبحانه وتعالى ومنّه في حقهم، وهداية أخرى من قبل الله سبحانه وتعالى في حق الناس إلاّ أنه عبّر بأجر لأن ظاهر الحال أن هؤلاء من أقرباء النبي(ص) وممن يودهم النبي (ص) ويتعلق بهم ويحبهم حباً شديداً كما هو وارد وثابت، إذن فبهذه المناسبة أدبياً يمكن أن يصطلح عليه أجر، ومن هنا نعرف أنه لا منافاه بين هذه الآية وبين الآيات التي تقول لا أسئلكم عليه أجراً ، الآيات الأخرى التي تنفي مطلق السؤال عن الأجر لا تنافى هذه الآية لأن تلك تريد أن تقول أنا بلغّت رسالة ربي وقمت بواجبي ولا أسئلكم عليه أجراً ، إن أجرى إلا على الله كما في آية أخرى : ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فهناك المنفي هو الأجر الحقيقي وهذا أجر لفظي فقط بمناسبة لفظية سمى بـ(أجر) ، إلاّ واقعاً ليس هو بأجر بل هو أيضاً شيء يرجع ببركاته وخبراته على الناس أنفسهم .

(١) الشعراء : ١٠٩ .

النكتة الثانية : وهي أن هذا الفعل وهو محبة القربى بحسب صورته وظاهره يكون من فعل الناس والمجتمع تجاه النبي وأهل بيته "عليهم السلام" ، بل قد يكلف الناس ثمناً باهضاً كما كلفّت مودة القربى المسلمين والمؤمنين حقاً ثمناً باهضاً ، كلفتهم حياتهم كما كلّف أصحاب الأئمة والمحبين للأئمة في التاريخ الإسلامي هذا الحب وهذه المودة كلفتهم كثيراً ، فلعل القرآن الكريم إنما سماه أجراً لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذه المودة تكلف هؤلاء ثمناً باهضاً لأن المسألة سوف تتطور وتدخل المدخل الذي دخلت فيه وسوف تكلف من يريد أن يتودد إلى الأئمة "عليهم السلام" ، ومن يريد أن يحب القربى أثماناً لان هذه المودة صعب تحملها وتحمل مسؤوليتها والقيام بها تكلف هؤلاء بأكثر مما تحمله المسلمون حينما دخلوا في الإسلام خصوصاً أهل المدينة الذين دخلوا في الإسلام من دون المشاكل التي أبتلى بها المسلمون الأوائل في مكة .

هؤلاء واجهوا معاناة ومحناً ومواجهات من قبل قريش ، بينما مسلموا المدينة ما واجهوا مثل هذه المواجهات الصعبة فكأن الإسلام جاءهم سهلاً ومن دون تعب ومن دون جهد ، جاءهم الإسلام وهداهم إلى النور ، الجهد متى يبدأ لهؤلاء ؟ ! يبدأ حينما يريدون أن

يتمموا المسيرة ويتمموا الرسالة بحب الأئمة والتعلق بالأئمة والارتباط بهم ، لأن النبي (ص) يعلم أن هؤلاء في هذا العمل الثاني سوف يواجهون الإرهاب وغيره ، المسائل التي واجهوها بالفعل في تاريخ الإسلام من الداخل .

إذن فمودة القربى وان كانت تعود على الأمة بالفائدة إلا أنها حيث أن فيها جهداً ونصباً وتضحية فمن هذه الناحية يناسب أن يعبر عنها بأجر للرسالة أو للرسول(ص) فأنت تجعل أجر الرسالة بأن تتحمل المسيرة إلى النهاية ، بأن تود القربى وتحبهم وتتعلق بالأئمة "عليهم السلام" وهذا سمي أجراً لأنه سوف يكلفك نصباً وعناءً وجهداً، ويكلفك أن تبذل دمك في هذا السبيل كما بذلوا دمائهم في هذا السبيل ، هذه إذن مناسبة أخرى للتعبير عن مودة القربى بالأجر، سمي أجراً لما فيه من المشاق والصعوبات والتضحيات التي لا بد وأن يقوم بها من يريد تلك المودة للقربى ، في الآية لا ينبغي أن تكون في دلالتها مناقشة وهي تدل على هذه الحقيقة والنظرية القرآنية الإسلامية التي تعتبر من أصول معتقداتنا نحن الشيعة ، وهي أنه لا بد ويجب مودة قربى النبي(ص) لا بمعنى مطلق القريب الذي له رحيمة أو صلة بسبب أو نسب مع النبي(ص) بل خصوص أهل البيت كما طبّق

وحصر النبي(ص) مصداق القربى ومصدق أهل البيت في هؤلاء وهذا أحد أصول العقيدة الإسلامية وهذا الأصل الذي أستفدناه من الآية ونستفيده من الروايات المتواترة والواردة عن النبي (ص) وعن الأئمة "عليهم السلام" ، هذا الأصل ما هو مضمونه وما هي معطياته ولماذا هذه المودة في القربى ؟ مودة أهل البيت والمحبة لأهل البيت ماذا تتضمن من معاني أو أبعاد أو معطيات هذا المهم بحسب الحقيقة .

معطيات مبدأ المودة :

المعطى الأول : في الواقع أول معطى من معطيات هذا الأصل هو تثبيت الإمامة للأئمة ولهذا هذه الآية يمكن أن تجعل إحدى الآيات التي يستدل بها على إمامة أئمة أهل البيت "عليهم السلام" ، وذلك بأعتبار أن هذه الآية تحصر المودة الواجبة بحكم الآية الكريمة بالقربى، تقول المودة في القربى ، نلاحظ لم يقل إلاّ المودة للقربى لماذا لم تقل الآية إلاّ المودة للقربى ، بل قالت إلاّ المودة في القربى ، هذا التبديل تبديل اللام بـ(في) من ناحية من أجل أن يشعر أن هذه المودة لكم ليس لهم ، صحيح أنكم تحبونهم لكن أليس اللام تفيد الملك ، هذه المودة لا

تزيد القربى مقاماً أو منزلة أو شيئاً ، نفع هذه المودة ليس للقربى ، هم مستغنون عنكم وهم خيرة الناس وهم مقاماتهم عند الله محفوظة وهم مستغنين عنكم ، نحن المحاجون إليهم ليسوا هم المحتاجين لمودتكم أو لمحبتكم ، ولهذا لم يعبر بلام حتى لا يوحي أن هذه المودة كأنها شيء ترجع لهم وتفيدهم فائدة وتعود عليهم بنفع فليست المودة لهم بل لكم أي أن فوائدها ونتائجها لكم ولكن المودة فيهم هم محل المودة ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشعر بالحصر أن هذه المودة لا بد وأن يكون محلها وموطنها ومكانها القربى لا مكاناً آخر، فكأنه عندما يقال أن هذه المودة ينبغي أن يكون في هذا الموضع يعني لا تكون في موضع آخر تشعر بشيء من الأشعار والدلالة بأن هذه المودة لا بد وان تحصر في هؤلاء ، ومن الواضح أن المحبة والمودة إذا أصبحت من الواجبات فسوف يدل بالألتزام على أن هؤلاء لهم منزلة خاصة، ولهم مقام الولاية على الأمة لأن الشريعة في نص القرآن الكريم توجب المودة في القربى وتجعله أجراً للرسالة يعني هذه المرتبه من الأهتمام بالمودة لأهل البيت "عليهم السلام"وجعل هذه المودة أجراً لتصديع النبي(ص)بهذه الرسالة، هذه المودة التي لها هذه المرتبة من الأهمية هذه لا يمكن أن تكون إلاّ أن يكون الشخص الذي قد حضرت المودة فيه وأمرنا بالمودة

والمحبة في حقه، هذا على مقام ومنزلة كبيرة كمقام النبوة فتتشكل دلالة الزامية عرفية بينة واضحة في هذه الآية على أن هؤلاء القربى الذين قد أمرت الآية بمودتهم ومحبتهم وحصرتها فيهم، لهم مقام ومنزلة عظيمة في الرسالة وعند الله سبحانه وتعالى ، ولا تكون إلا كمقام النبوة الذي أيضاً نحن مكلفين بحب صاحبها والمودة إليه والتعلق به، ونحن نعلم أن الرسالة لا تأمر بالمودات والمحبات لقضايا شخصية جزئية وخارجية إذ ليس ذلك من شؤون الرسالة وليس هذا أدب الأحاديث فكيف بالقرآن الكريم .

إذن فأي عناية من هذا القبيل وارد في القرآن الكريم في حق القربى، هذه العناية لا يمكن أن تفّسر ولا يمكن أن توجه إلاّ بتفسير وتوجيه واحد، وإلاّ في حالة واحدة وهي أن هؤلاء على منزلة عظيمة بمعيار أدبيات الرسالة الإسلامية ومن خلال مقاييس الرسالة الإسلامية ومعاييرها ، على منزلة عظيمة وكبيرة بمثابة منزلة النبي (ص) غير أن النبي (ص) هو الرسول المصّدع وهؤلاء هم داخل أطار الرسالة الإسلامية ، فتدل هذه الآية بالدلالة الألتزامية على أن منزلتهم منزلة قادة الرسالة وحماتها وهذه هي الإمامة ، نحن ماذا نريد بالإمامة هذه التعابير (إمامة ، ولاية ، خلافة) هذه تعابير من باب (عباراتنا شتّى

وحسنك واحد) ، واقع المسألة أن هؤلاء لهم أمتياز على سائر الناس وأمتيازهم رسالي ، أمتياز مربوط بالله سبحانه وتعالى ، أمتياز خاص كأمتياز النبي(ص) ، وهم محور الرسالة ، وهم أصحاب الرسالة وحامليها والمسؤولين عنها وحماتها ، وهذا حينئذ قد يعبر عنها بالإمامة أو الخلافة أو الولاية ، واقع المسألة هذا التمحور الخاص وهذه الميزة الخاصة في هؤلاء والالتصاق الخاص لهؤلاء بالرسالة والسماء بأعتبار ان الرسالة رسالة السماء ورسالة الله سبحانة وتعالى، إذن فأول معطيات هذا الأصل الذي أستفدناه من هذه الآية أن القربى يعني أهل البيت "عليهم السلام" يملكون منزلة خاصة عند الله سبحانه وتعالى كمنزلة النبي (ص) منزلة محورية وأمتياز محوري لا يكون لهم بالخصوص وللنبي (ص) الذي هو صاحب هذه الرسالة وحامل هذا اللواء ، هذه الدلالة الأولى لهذا الأصل ، ومن هنا من الصحيح أن يستدل كما أستدل بعض علماء الشيعة بهذه الآية الكريمة على مبدأ الإمامة والولاية والخلافة لأهل البيت "عليهم السلام"، وأنا أجد أن هذه الدلاله دلالة واضحة وبيّنة في هذه الآية الكريمة .

المعطى الثاني : أن هذه الآية تدل على مبدأ الولاية وزيادة، هذه الزيادة سوف تكون هي المعطى الثاني ، وهي أنه أضافة إلى تثبيت

منزلة خاصة لا تكون إلا للقائد ولا تكون إلاّ للولي وللإمام أضافه إلى ذلك تعطي لنفس المحبة والمودة أهمية حيث توجب المودة والمحبة لهؤلاء وهذا بعد آخر في هذا الأصل أو في هذه الآية ، إن هؤلاء تارة نؤمن بهم كأئمة وكقادة وكخلفاء وأنهم خلفاء النبي (ص) الذين كان ينبغي أن يخلفوا النبي (ص)، والذين أقصوهم عن هذا المقام غاصبون نؤمن بذلك كحقيقة مرتبطة بنظرية الحكم في الإسلام أو نظرية القيادة الإسلامية وهذه مرتبه من الايمان بالأئمة ، إننا نؤمن بالأئمة يعني نؤمن بعصمتهم وولايتهم وهم الخلفاء المحقون بعد النبي(ص) ، وهم الذين كان ينبغي أن يحكموا إلاّ أن الغاصبين والمارقين والناكثين أقصوهم، هذه مرتبة من الإيمان بالأئمة "عليهم السلام" ، هذه الآية تريد أكثر من هذه المرتبة تريد أن تقول أن هؤلاء ليس فقط يجب أن تفترضهم هم الخلفاء وهم الأئمة والقادة وهم من لهم حق الحاكمية والحكم بل أضافة على ذلك لا بد أن تودوهم وتحبوهم ، هذا مبدأ أضافي صار مبدأ حب هؤلاء والتودد لهؤلاء ، هذا الحب والولاء لأئمة أهل البيت "عليهم السلام" بعد آخر ومعطى آخر من معطيات هذا الأصل ، ولهذا المعطى الجديد آثاره ونتائجه ودوره الذي سوف نشرحه أنشاء الله تعالى في المحاضرة القادمة في تربية الإنسان وتثقيفه وجعله يستطيع أن يأخذ

الرسالة من مصدرها الصحيح وشد المجتمع والأمة بالمحور القيادي الصحيح ، بحيث لولا هذا البعد والمعطى الثاني يبقى المعطى الأول معطى نظري غير قابل للتجسد في الخارج ، لا بد من هذا البعد الثاني لكي ينحفظ البعد الأول الموجود في هذا الأصل وهذا سنتحدث عنه في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى .

الحمد لله رب العالمين

المحاضرة الثانية

١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تحدثنا بالامس حول مفاد الآية الكريمة : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾.

مفاد هذه الآية مبدأ نعتبره من أصول العقيدة الإسلامية المتفق على أصلها من قبل كافة طوائف المسلمين ، وهي مبدأ لزوم ووجوب المودة لأهل البيت"عليهم السلام" ، وهذا ليس فقط مدرك منحصراً في هذه الآية بل دلت الآيات الكثيرة المتواترة في طرق الفريقين معاً على أن محبة آل الرسول(ص) هم علي وفاطمة والحسن والحسين "عليهم السلام" بالخصوص لا مطلق من له قرابة بسبب أو نسب مع النبي (ص) ، الروايات الكثيرة القطعية الصدور بأعتبار تواترها وأستفاضتها في طرق الفريقين معاً أيضاً تدل على هذا المبدأ ، بل نحن نعتقد أن هذا المبدأ من المباديء اليقينية المسلمة عند المسلمين نتيجة سيرة الرسول (ص) وموافقه التي ثبتها في تاريخه وحياته، أي شخص يستعرض الإسلام والسيرة النبوية الشريفة يرى أن النبي (ص) لم يكن يدع فرصة إلاّ وكان يؤكد فيها على هذا المبدأ ، لم يكن يدع فرصة إلاّ

وكان يؤكد فيها على هذا المبدأ ، لم يكن يدع مناسبه حتى المناسبات الصغيرة إلاّ وكان يؤكد من خلالها على هذا المبدأ .

إذن فأصل مبدأ محبة أهل البيت "عليهم السلام" مما يقطع به تأريخياً وقامت عليه سيرة النبي (ص) على مأوى ومسمع من المسلمين جميعاً ، ولا يخالف أحد في أصل هذا المبدأ ، حتى المخالفين مع الشيعة لا ينفون أصل ثبوت المحبة والولاء لأهل البيت "عليهم السلام" .

وكما تعلمون علماءهم وفقاءهم وكتبهم كلها تشير إلى هذا المعنى بشكل أو آخر ، وينسب إلى الشافعي (٢٠٤هـ) شعره المشهور:

ياأهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكـــم من لم يصل عليكم لا صلاة لـــه

إذن فأستفادة وجوب فريضة محبة أهل البيت"عليهم السلام"، مسألة ومبدأ مفروغ عنه عند المسلمين ، هنا قد تسأل حينئذ إذا كان هذا المبدأ مسلّماً أو ثابتاً بالكتاب والسنة والإجماع وسيرة النبي ومواقف النبي(ص) إذن فأي خلاف واقع بينهم وما هو محل الخلاف ؟.

في الواقع الخلاف بين الفريقين ليس في أصل هذا المبدأ وإنما في كيفية فهم هذا المبدأ .

فقد وقع تشويش نتيجة القضايا والبلايا التي أمتحنت التجربة الإسلامية بها بعد وفاة قائدها وحامل لوائها ورسولها بعد وفاة الرسول(ص) ، هناك جريانات سياسية وقعت كمسألة السقيفة والقضايا والمقدمات والمؤخرات التي أدت إلى التشويش في كيفية فهم هذا المبدأ وتلقيه ، الذين لم يكن يروق لهم لوازم هذا المبدأ وهذا الأصل الإسلامي الأصيل حاولوا أن يحرفوا ظاهر هذه النصوص والمواقف والآيات الكريمة ويفسروا هذا المبدأ بما لا يتنافى مع ما نووه من الناحية السياسية ويرمون إليه في الأستيلاء على قيادة التجربة الإسلامية .

ففسروا هذا المبدأ والأصل الإسلامي وشرحوه ، أن المقصود من مجموع هذه الآيات والروايات والمواقف النبوية هو أنه لا بد من محبة أهل البيت والمودة إليهم ، فهذا المعنى لا يثبت أكثر من المحبة لأهل البيت فالمسلم لا بد وأن يكن لهم المحبة والأحترام والتقدير والود كعلاقة عاطفية وإنسانية بأن هؤلاء صالحين من أولياء الله متقربين إلى الله تعالى، وأيضاً منسوبين إلى النبي(ص) وموضع عناية النبي ومحبته،

حاولوا ان يفسروا هذا المبدأ والأصل الثابت والذي للشك فيه ويفسروه بهذا اللون، كل نص وموقف ورد من النبي أمثال حديث الغدير وأمثال الأحاديث الأخرى الواردة في شخص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو مجموع آل الرسول ، كحديث الكساء مثلاً ، كل هذه النصوص الكثيرة المقطوع بصدورها حاولوا ان يفهموها من خلال هذه الزاوية وهذا الأطار ، على أساس أن هذه تلزم المسلمين والمؤمنين التولي، بمعنى الحب والولاء الشخصي والإنساني والإحترام لهؤلاء ، ولهذا حاولوا أن يعزلوا ويفصلوا بين مبدأ محبة آل الرسول وبين أن يكون لآل الرسول منزلة معينة أجتماعية ودور قيادي لأصل التجربة الإسلامية ، حاولوا أن يفصلوا بهذا الفهم المحّرف بين الأمرين فيعزلوا آل الرسول ، القادة الميامين ، عن دورهم الفعّال ، شبيه بالمحاولة الأستعمارية الحديثة القاضية بفصل الدين عن السياسة ، كي يتمكنوا من عزل العلماء والفقهاء والمتدينين بمختلف أشكالهم ورتبهم عن الحياة السياسية والساحة القيادية للأمة .

هذه المحاولة التي أنطلت على كثير من أبناء الأمة ولمدة طويلة عملية مشابهة لهذه العملية أيضاً وقعت في تلك الفترة ، حاولوا أن يفسروا هذا المبدأ على أساس أحترام ومحبة وتقدير هذا شيء ، وأمّا

قيادة المسلمين ، ولاية الأمر، خلافة النبي(ص) تولي شؤون المسلمين، هذه من الأمور الأخرى المربوطة بنفس المسلمين ، والمتروكة إلى رأى نفس المسلمين ، هم الذين يجتمعون ويتخذون الموقف المناسب والصيغة المناسبة لأدارة أوضاعهم ، قيادة أمورهم وولاية شؤونهم ، والمحبة لهؤلاء، والمودة للقربى لا تعنى أن يكونوا هؤلاء حكام المسلمين وأن الأمور كلها ترجع إلى هؤلاء ، وأنهم هم مصادر ومنابع التشريع وأنهم ولاة الأمر وهم خلفاء رسول الله(ص) ، كل هذه اللوازم فصلوها ونحوّها عن هذا المبدأ وفككوا بينها وبين أصل المبدأ ، مبدأ التودد للقربى .

طبعاً من الواضح أن هذا الفهم لا يمكن مساندته وقبوله، لأنه على خلاف صراحة الأدلة والروايات والآية المباركة ، وعلى خلاف ظهور هذه الأدلة اللفظية الواردة في هذا المجال، هذا بحث قديم بين السنة والشيعة وفيه الكتب المطولة وفيه تبيان لمعنى الولي والمولى في حديث : **(من كنت مولاه فهذا علي مولاه)**[1].

وهكذا الروايات التي تدل على الولاية، والولاية بالمعنى الذي يكن له وجود حقيقي وأجتماعي لا مجرد محبة ومودة كعلاقة شخصية

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ج١ : ١٠٧ .

بين الإنسان وهؤلاء، وهذه بحوث مليئة بها كنت علم الكلام عند الشيعة، الظاهر في أكثر هذه النصوص النبوية والآيات الواردة في هذا الشأن، أن هذا المبدأ لا يراد منه مجرد المبدأ في التولي القلبي والمحبة القلبية والمودة القلبية بين الناس وبين هؤلاء ، أضافة إلى أن هذا خلاف الظواهر وخلاف النصوص ، هذا أمر لا يمكن أن نتعقل ونفترض أن النبي (ص) والكتاب الكريم يتصدى لبيانه ويؤكد عليه هذا التأكيد البالغ ، ولا يدع فرصه إلاّ ويؤكده عليها منذ نعومة أظافر الحسن والحسين "عليهما السلام" ، بمناسبة وغير مناسبة ، في الشارع يستطرق الحسن وهو يلعب فيقف أمام المسلمين ويمدح هذا الطفل ويؤكد، **حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الاسباط**[1]، **وقول(ص) : الحسن والحسين أبناي من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله ، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ، ومن أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار**[2] .

---

(١) سنن الترمذي ج ٥ : ٣٢٤ .

(٢) مستدرك الحاكم للنيسابوري ج٣ : ١٦٦ ؛ تاريخ ابن عساكر : ترجمة الإمام الحسين عليه السلام .

وفي رواية أخرى يقول (ص) : اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما[1]. ما من أدنى مناسبة كانت تتحقق إلاّ وكان النبي (ص) يستعملها لتركيز هذا المبدأ ، كيف يمكن أن نفترض أن الذكر الحكيم ، الذي هو كتاب البشرية الخالد يؤكد هذه الأطر الضيقة القبائلية والعشائرية ، هذا الكتاب العظيم الخالد كتاب الله تعالى يؤكد في أكثر من مورد ويقصد به المحبة الشخصية والمحبه القلبية ويجريها مجرى الأحكام التعبدية في وجوب محبه ومودة آل الرسول وقرابته ، حب بهذا المستوى والمضمون والمفاد، لا يمكن أن يراد منه هذا المقدار الباهت الخفيف الذي لا يكون له أي مردود أجتماعي حقيقي على الناس وعلى التجربة والقيادة الإسلامية .

كيف يمكن أن يفترض أن مضموناً ومفاداً بهذه البساطة يتصدى الذكر الحكيم لتثبيته ، يتصدى النبي (ص) ليلاً ونهاراً في كل مناسبة لتركيزه في نفوس المسلمين ، من الناحية المنطقية والعقلية ، هذا غير ممكن وغير معقول ، والنبي (ص) بهذه الشخصية العظيمة الذي غير مسار التاريخ ، هذه الشخصية بقع النظر عن الجانب الرباني الموجود فيها ، كإنسان وكبشر أيضاً كان يمتلك بأعتراف غير المسلمين

---

(١) خصائص النسائي : ٢٦ .

أيضاً ، هذه العقلية الجبارة بحيث أستطاع أن يغير مجرى التاريخ ويصنع من ذاك المجتمع الجاهل مجتمعاً غزى العالم كله وغير وجه الحضارات، فالإنسان الذي له هذه العظمة في التفكير والهمة والبعد الفكري والمعنوي ، كيف يمكن أن يهتم بقضية صغيرة طابعها عاطفي ضيق ، هذا أبن بنته مثلاً ، أيها الناس أطلب منكم أن تحبوه تتوددوا إليه ، كيف يمكن لهذه الشخصية العظيمة الخالدة التي لا نظير لها بقطع النظر عن الجانب الرباني وأرتباطها بالسماء كشخص وكبشر ، لو كنا ننظر نظرة علمية كما ينظر الماديون أيضاً بالنظرة المادية العلمية شخصية لا نظير لها في البشرية كلها منذ خلقتها الأولى وإلى الآن ، كيف يمكن لهذه الشخصية أن يؤكد ويتسنح الفرص ويهتم ليصدر العشرات بل المئات من البيانات والنصوص والأحاديث من أجل أن يبين هذا المفهوم المحدود الساذج .

أنا أحبهم فأنتم أيها المسلمون لا بد وأن تحبونهم ، لا يمكن أن تكون كل هذه الأرهاصات وهذه المقدمات والتأكيدات والبيانات من أجل أثبات مبدأ المحبة القلبية والعلاقة القلبية لهؤلاء .

إذن لا بد ان يكون هناك بعد أوسع وأرفع من هذا المعنى والمفاد ، لا بد أن يكون الشيء الذي يريده النبي (ص) من وراء كل

هذه البيانات الشريفة وكل هذه الأرهاصات والنص القرآني يؤكد عليه وعمل النبي (ص) أيضاً يؤكد عليه، لا بد أن يكون من ورائه موضوع خطير ومهم للغاية ، لا بد أن تكون هناك صلة بالمواضيع المهمة الأساسية المصيرية المرتبطة بصميم الرسالة الإسلامية ، حتى تكون بهذه الدرجة المهمة والتي يعتنى بها النبي (ص) ويستقل كل تلك الجهود والأوقات من أجل تثبيتها .

نحن إذا قطعنا النظر عن البحوث الكلامية بين السنة والشيعة في تفسير هذه النصوص وحللنا القضية كقضية تاريخية كعمل كسيرة من النبي (ص) واقع ، ترى من غير المنطقي وغير العقلائي أن المراد من كل هذّه المواقف والنصوص مثل هذا المعنى بل لا بد وأن يكون هناك معنى عظيم كبير أساسي ، ذلك المعنى وذلك المفاد هو الذي يستحق هذه الدرجة من الأهتمام البالغ والرصد له والأرهاص له والإعداد من الكتاب والسنّة والسلوك واللفظ والتقرير ومختلف التوصيات والتوجيهات لا بد أن يكون هذا المطلب أساسياً وخطيراً ، ومبدأ من المباديء التي لها أرتباط مصيري ونهائي بأصل الرسالة ، إذن فهذا التفسير وهذا الفهم الذي فهمه هؤلاء وحاولوا أن يفهموه للأمة ، باطل ومنحرف بالدليل العقلي والعلمي والتاريخي ، فهذه مواقفهم

وكلماتهم قبل وفاة القائد (ص) وأيضاً من بقي منهم بعده ، في الأحداث التي تلت بعد ذلك هناك عبارة تنقل عن معاوية ، الذي كان من ألدّ أعداء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، يعترف فيها بعد وفاة الإمام علي عليه السلام ويبين وضع الإمام ومنزلته في زمن الرسول (ص) حيث يقول :

كان علي عليه السلام في زمن رسول الله (ص) كالنجم في السماء لا يطاول وأين نحن معه ، لا نستطيع أن نقيس أنفسنا مع هذا الرجل هو كان كالنجم في السماء ونحن كالتراب والحصى في الأرض ، هذا بأعتراف ألدّ أعدائه ، هو يعترف بأن النبي (ص) وسلوكه ودوره ومواقفه كان بدرجة مع علي عليه السلام بحيث كان هذا الشخص في السماء من الرسالة الإسلامية وعند حامل الرسالة الإسلامية والناس الآخرين في الأرض ،معاوية يرى نفسه من كتاب الوحي ، معاوية لم يكن إنساناً مهملاً كان له وجود ولو جزئي، هذا الرجل يعبر عن الأنطباع العام الذي كان للمسلمين عن الإمام علي عليه السلام في زمن رسول الله(ص)، والأنطباع ناشيء من سيرة النبي(ص) معه ، والأحاديث الصادره من النبي في حقه ، لولا تلك المواقف ولولا تلك السيرة النبوية والنصوص في كل شاردة وواردة في كل مناسبة .... لما خلق هذا الأنطباع في ذهن

المسلمين ولما بقي في ذهن هذا الرجل الذي عادى الإمام وخالف كل ما تلقاه في ذلك الزمان وأنحرف بذلك الشكل العجيب ، لولا تلك المقدمات وتلك السيرة وذلك السلوك لما حصل هذا الأنطباع .

إذن فقد كان من وراء هذا المبدأ معنى كبير جداً ولا يمكن أن يكون المراد من هذا المبدأ ، المودة والمحبة القلبية وما شابه ذلك من المعاني .

معطيات آية المودة :

نحن نعتقد أن هذا الأصل وهذا المبدأ ((مبدأ التولي)) لأهل القربى يتضمن أبعاداً مهمة جداً ، وهذه الأبعاد في نفسها من الناحية العقائية خطيرة ومهمة وآثارها في الحياة الإجتماعية وفي حياة مجتمع المسلمين أيضاً آثار خطيرة ومهمة أنحرم المسلمين منها نتيجة عدم أدراكهم وتلقيهم لهذه الأبعاد المستبطنه في هذا المبدأ ، نحن نرى ونعتقد أن مبدأ التولي في هذه الأحاديث والمواقف وهذه السنّة النبوية يتضمن أولاً مبدأ تولي هؤلاء للأمر الذي يعني القيادة للتجربة الإسلامية فإن هذه المحبة لا تطلب كعلاقة قلبية ، ولا يمكن أن يكون مفادها بهذا المعنى ، هذه المحبة والمودة هي مرتبة ملازمة لأن يكون هذا المحبوب

وهذا المودود له منزلة وله مقام يتلوا مقام النبي (ص) لأن هذا الأمر بالحب وهذا السؤال عن المودة في القربى إنما جاء من خلال نفس الرسالة وكأجر على الرسالة : ﴿ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الأجر على الرسالة لا بد وأن يكون مرتبطاً بالرسالة وليس قضية نفسية أو عاطفية ، هذا الأجر من صنف ما يؤجر عليه ، من الأمور التي مرتبطة بصميم الرسالة نفسها ، وهذا لا يكون إلاّ أن يكون هذا الشخص الذي أمرنا وكلفنا بعودته ومحبته له منزلة ومقام من هذا القبيل .

فتدل هذه الآية على أن المراد من وراء هذه المحبة تثبيت مقام ومنزلة مخصوصة ومتميزة لهؤلاء تتلو منزلة النبوة، وأيضاً نعتقد بأكثر من هذا ، نقول بأن هذا المبدأ ليس فقط تولي الولاية وقيادة التجربة الإسلامية والرسالة .

بل هذا المبدأ بحسب الحقيقة يريد أن يعلم المسلمين بأن هؤلاء لهم تمّيز رباني في المنظار الإلهي وصاحب الرسالة وهو الله ، هؤلاء لهم تمّيز خاص وهم ثقل صاحب الرسالة في الأرض كما كان حامل الرسالة وهو النبي (ص) أيضاً الثقل الإلهي والرباني في الأرض يعطي للمسلمين هذا العرفان أنهم هم الحبل الممدود من السماء إلى

الأرض[١] بعد النبي(ص) وهؤلاء هم الذين بهم يفتح الله وبهم يختم[٢] وارتباط النصوص بهذا المعنى عن النبي (ص) نفسه واضح ، فالمسألة أن النبي (ص) لم يكن ينظر إلى جانب الخلافة والسياسة فحسب ، لم يكن يريد أن يبين نظرية الحكم والسياسة في الإسلام فحسب ، فأن هذه النظرية قطرة من بحر الولاية ، جزء ضئيل من نظرية الولاية ، عندنا نظرية الحكم والسياسية ومن الحاكم بعد النبي (ص)، لابد أن يكون الإمام علي عليه السلام لا فلان وفلان .

هذه قضيه مهمة وأساسية ، أنا أريد أن أدعي أن هذا المبدأ أوسع وأشمل من هذا المقدار وهذا جزء متضمن فيه النبي (ص) والقرآن الكريم والأحاديث الصادرة عن النبي(ص) ، والتأكيدات الواردة من النبي (ص) في كل مناسبة تريد أن تثبت حقيقة أخرى أهم من مسألة الحكم والحاكمية وأشمل ، وليست مسألة الحاكمية إلاّ جزء ضئيلاً من تلك الحقيقة ، تلك الحقيقة هي أن هؤلاء لهم تميز روحاني من الآخرين وهم ثقل الله على الأرض وهم المرتبطين بالسماء ، لهذا لا بد وأن يكون هناك تودد ومحبة إليهم ، هؤلاء رموز السماء في

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ : ١٦٣ ؛ كمال الدين للصدوق : ٢٣٥ ، ج:٥٠.
(٢) الخصال للصدوق : ٦٢٦ .

الأرض ، فهذا الود وهذا الحب والولاء ليس من باب إنساني وشخصي كلا ، هذا الولاء جزء من أصل الرسالة إنه ولاء للرسالة ولله تعالى ، من خلال هذا الولاء سوف تتصل السماء بالأرض ، ويستطيعون أن يعبدوا الله حقاً ويلتزموا بأوامره حقاً ، هذا المبدأ حدوده ودوافعه وحقيقته بهذا المقدار، القرآن الكريم والنبي (ص) لا معنى لأن يؤكد على قضية شخصية، هذا الحب إذا لا يكون حباً يرتبط بالله حقيقة ويرتبط بجوهر الرسالة حقيقة ويكون هو العمود الفقري لنفس الرسالة ما كان جديداً ومستحقاً لهذا المقدار من التأكيدات والتثبيتات اللفظية والعملية والسلوكية إنما هو ما ذكرناه ، ولم يكن يناسب الذكر الحكيم أن يتصدى لقضية لا تتعدى مقدار العلاقة القلبية، هذا التصدي وهذا التأكيد إنما يكون من جهة أن هذه المحبة وهذه المودة في جوهرها وواقعها سوف تؤول إلى حب الإنسان لله سبحانه، حب الإنسان للحقيقة الواقعة في الكون والوجود وهو الله سبحانه وتعالى وأحكامه ورسالته وأنظمته وما يريده في حق عباده، إذن فمبدأ المحبة والمودة لأهل البيت"عليهم السلام" يتضمن حقيقة كبرى من الحقائق الأساسية في فكرنا الإسلامي وفي العقيدة الإسلامية والنظرية الإسلامية .... وهذه الحقيقة أنهم حبل الله الممدود بعد النبي

(ص) الذي يمتد من خلاله ارتباط السماء وبالأرض .

موقع الرموز البشرية في التربية الربانية :

نحن نؤمن في معتقدنا الفلسفي ، بأن الله حينما خلق الإنسان والأرض لم يترك الأرض والناس سدى بل بقي مشرفاً ومهيمناً ومتصرفاً في أمورهم من خلال ما يسمى بخط الشهادة ، فخط الشهادة هو أرتباط بين السماء والأرض .

هذا الأرتباط لا بد وأن يكون له رموز، الإنسان لا يمكن أن يرتبط بعالم الغيب أرتباطاً مجرداً ، صحيح أن الإنسان له عقل وعقله مجرد يستطيع أن يدرك بعض القضايا ، إلاّ أن الإنسان حسي بحسب نزعته أكثر من كونه مجرداً ، هذه الحسية وهذه الأرضية تجعل البشرية دائماً بحاجة إلى رموز، إلى من يجسد هذا الأرتباط تجسيداً بشرياً مادياً، ولهذا الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء من البشر وتوجد آيات قرآنية كثيره تصرح بهذا المعنى ، لأن الإنسان بطبيعته له نزعة حسية، عندما تخرج القضية عن الجانب الحسي الفطرة البشرية لا تتحملهُ ، لا بد أن يكون التوجه إلى عالم الغيب والتوجه إلى الله له رموز بشرية حسية ، فلابد أن يكون هذا الإرتياط وعناية السماء بالأرض له مظهر

بشري وحسي ورابطة بشرية ورفد بشري ، وهذا الرمز عبارة عن الأنبياء والأئمة "عليهم السلام" ، فالتركيز والتنبيه على مبدأ المحبة من أجل أن قلوب الناس بالتدريج تلتفت وتلتف حول هذه الرموز من بعد النبي (ص) ، بالنسبة للنبي (ص) الرمزية واضحة لكونه صاحب الرسالة وصاحب المعجزة الكبرى ، أمّا بعد النبي (ص) لا بد أن يبقى هذا الرباط وهذا الحبل الممدود من السماء إلى الأرض ، هذه الواسطة البشرية بين السماء والأرض لا بد وأن تكون باقية وهذه الواسطة البشرية إنما هم عبارة عن آل الرسول (ص) ، ومبدأ وجوب محبة آل البيت " عليهم السلام" عبارة عن شدّ الناس وشد قلوبهم بهذا الرباط. فهذا الحب ليس حباً قلبياً لشخص أتجاه شخص آخر لكونهم أناس جيدين ، بل هذا حب يوصي بالشخص وبشّد الشخص المحب بالمحبوب ، هذا المحبوب هو رباط الله في الأرض هذا المحبوب هو الحبل المتصل بين السماء والأرض ، هذه هي حقيقة هذا المبدأ ، مبدأ الولاء يضمن عندنا مثل هذا البعد المعمق الواسع الضخم ، ولولا هذا البعد لما كان جديراً أن يكون موضع أهتمام النبي(ص) والذكر الحكيم ، إذن فمبدأ الولاء والمحبة للقربى يتضمن معنى عظيماً مهماً كبيراً هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى هذا المعنى الكبير الواسع تشكل مسألة القيادة والحاكمية جانباً ضئيلاً منه ، ليس المسألة مسألة الحكم والسياسة فحسب بل مسألة البشرية والسماء والأرض ، والحياة السياسية جزء من حياة البشر وخلافته في الأرض ، هذا المبدأ يريد أن يربط البشرية كلها بالسماء لا فقط من جانب أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين "عليهم السلام" أن يحكموا ، فإن هذا جزء أو مقدمة بحسب الحقيقة لتلك المسألة الأوسع والأعمق من مسألة الخلافة والتولي ومن الذي يكون الحاكم على المسلمين ، هذا ما نحن نفهمه من هذا المبدأ ، وهنا يوجد وجه آخر لهذا المبدأ ، وهو أن الإنسان صحيح أن له فكر وعقل يدرك ويشخص الأشياء بفكره وعقله ، إلاّ أن الإنسان أفكاره ومعتقداته إذا بقيت مجرد أفكار ومعتقدات لا تكون قادرة لأن تحركه حقيقية الفكر ، إنما يحرك الإنسان إذا نزل عن عالم التجريد الذهني والعقلي إلى عالم الحب القلبي ، إلى عالم الرغبة النفسية إذا بقي الفكر مجرد نظرية وفكر فلا يحرك الإنسان ، ولهذا تجدون الفلاسفة لم يستطيعوا أن يحركوا البشرية كما حركها الأنبياء ، فالأنبياء صنعوا حضارات وصنعوا الأمم ، إلا أن الفلاسفة كنظرياتهم وأصطلاحاتهم وفلسفاتهم لم يستطيعوا ذلك ولا يستطيعون ، أرسطو

عنده كلمات فلسفية أغريقية وأستدلالات ومناقشات في أثبات فكرة الله كثيرة إلاّ أنها لم تحرك وتغير في تأريخ الإنسان ، نجد أنه حتى تلك الحضارات المهمة كحضارة الاغريق مثلاً ، لم تكن متخذة من نظريات فلاسفتهم بل كانت لها أمتدادات أخرى يرجع كثير منها إلى الديانات اليهودية والمسيحية بعد أنتقالها من الشرق إلى أوربا إلى اليونان ، فالفكر المجرد لا يستطيع أن يحرك ، إلاّ اذا أنزل إلى قلب الإنسان فيتحول من مجرد فكر نظري إلى رغبة وميل عاطفة إلى معتقد ومتبني، بحيث له رغبة نفسية إلى تبنيه حينئذ يكون الفكر محركاً للإنسان يستطيع أن يكون إرادة والارادة تحفّز الإنسان أن يتخذ الموقف ويعمل، فالنظريات والأفكار إذا بقيت أفكار مجردة لا يمكن أن تكون مؤثرة ومغيرة للإنسان وسلوكه ، ولذلك الإنسان رغم أنه متفكر له حالة الشوق والحب ما يسمى بمقدمات الإرادة .

هذه النظرية التي أستخلصناها من هذا المبدأ بالنسبة لأهل البيت "عليهم السلام" ، لو كانت تطرح من قِبَل الإسلام والنبي(ص) كنظرية بأن يقال بأن أهل البيت "عليهم السلام" هم حبل الله الممدود بين السماء والأرض بعد النبي(ص)، أهل البيت "عليهم السلام" لهم هذا المقام المقرب عند الله وهم يتلون النبي (ص) ، هم مصادر التشريع

من دون أن يربط هؤلاء وتربط هذه المنزلة بجانب العاطفة والحب عند الناس، حينئذ كانت تبقى نظرية شبيهة بنظريات الفلاسفة ، ولهذا نجد أن المسألة قد دخلها الإسلام من خلال مبدأ الحب والود حتى يصبح هذا المبدأ متركزاً في القلوب وفي ضمائر الناس لا في أذهانهم كنظرية فحسب، فلو بقي هذا المبدأ في أذهان الأمة نظرية كنظريات الفلاسفة عن العقل الأول والثاني والعقول العشرة بين الخالق والخلق كنت لا تجد له موطناً إلا في عقول الفلاسفة فقط ولم يكن يوجد إنسان يتحرك بعقل من هذه العقول لأنها كانت من المسائل التي بقيت نظرية في مكامن التجربة الذهنية والناس أبعد ما يكون أن تحركهم هذه التجريبيات الذهنية، بخلاف ما إذا ربطت المسألة بالعواطف من خلال المودة والمحبة ، من خلال الرباط العاطفي هذا الرباط هو الذي يضمن بحسب الحقيقة تجسيد النظريات وأندفاع الناس نحو تحقيقها وتحقيق الأهداف من ورائها ومن هنا كان مبدأ حب آل البيت "عليهم السلام" ، هو الضمان العملي والرصيد الواقعي والتاريخي لهذه الحقيقة الكبرى التي إذا شرحناها كنظرية وكعقيدة هذه النظرية تكون فاعلة في نفوس المؤمنين فالذي لا بد منه إنما هو هذا الحب ، هذا الرباط القلبي، الذي لو لم يكن موجوداً لما أمكن تحريك الناس بالنظريات والثقافات

وتصدير الأحكام لأن الأفكار إذا بقيت أفكار لا تحرك شيء إذا لم تنزل إلى عالم الحب والقلب فلا بد من رباط عاطفي وقلبي لا بد من محبة حقيقية ومودة ، لهذا تجدون أن هذه النصوص تؤكد على محبه آل البيت "عليهم السلام" لا فقط الأعتراف والإيمان بمنزلتهم وبعصمتهم ، بل علاوة على ذلك لا بد من حاله الحب والأنعطاف والانجذاب والتعلق القلبي بهؤلاء، ولهذا أصبحت المودة واجبة لهؤلاء لأنه من خلال هذا الحب وهذا الرباط بهذه الحقيقة الكبرى والأساسية والمصيرية يمكن أن يكون لها دور في تحريك الناس وجعل الناس يتوجهون نحو كمالهم الحقيقي ، يتحركون في كل مرحلة حسب تكليفهم الشرعي ويتكلمون ويصلون إلى المراتب التي يريدها الله لعباده والتي قد جسدها هؤلاء الرموز أفضل تجسيد ليكون الإنسان بذلك خليفة الله في الأرض، هذا أيضاً بعداً آخر من أبعاد هذا المبدأ، مبدأ الولاية والمحبة للقربى .

الحمد لله رب العالمين

المحاضرة الثالثة

١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مبدأ المودة لأهل البيت هدف ووسيلة :

كنا نتحدث حول آية المودة :﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ وقلنا أن مبدأ ولاية آل الرسول هذا المبدأ لا شك فيه لدى أحد من المسلمين ، والذي دلت عليه النصوص والمواقف والسيرة النبوية ليس كما قد يفهم من قبل بعض الفرق الإسلامية أنه مجرد مبدأ شخصي أراد النبي (ص) في هذا المبدأ أن يجعل المسلمين يحبون آل البيت "عليهم السلام" فحسب ، بل هذه المودة والمحبة هي من صميم الرسالة نفسها هي كالمودة والمحبة التي لا بد أن تكون لكل إنسان مؤمن بالله أن يكون له محبة لله ، المودة لقربى الرسول(ص) أي للأئمة "عليهم السلام" مودة مشتقة من المودة والحب لله والنبي(ص) .

ولهذا جاءت ودلت عليه النصوص الكريمة والمواقف النبوية والإعدادات الكثيرة الضخمة ، هذه المحبة والمودة لأهل البيت "عليهم السلام" ، إذا أردنا أن نتعمق فيها هي في نفس الوقت الذي تكون هدفاً وغرضاً أسلامياً رسالياً ، في نفس الوقت تكون طريقة ووسيلة للوصول إلى الأهداف الإسلامية ، فمحبة آل البيت مبدأ ذو وجهين وذو ميزتين ، هدف وغاية طريق ووسيلة في نفس الوقت ، أمّا كونها هدف بأعتبار ما أشرنا إليه من أنه كمودة الرسول (ص) نفسه مودة بالنتيجة لله وفي الله سبحانه ، من يوّد ويحب الرسول(ص) بحسب الحقيقة يحب الله ، لأن الرسول(ص) وأهل بيته المعصومين ما هم إلاّ ممثلين من قبل الله سبحانه والثقل الإلهي في الأرض والحبل الممدود بين السماء والأرض ، فحبهم في الواقع لما يرمزون إليه ، حب الله سبحانه وتعالى وحب الكمال الإلهي لأنه هم مظهر من مظاهر الله سبحانه وجلوة من جلوات عالم الغيب والكمال الربوبي ، فمحبتهم تكون محبة لجلوة من جلوات الكمال وهذه الجلوة نفسها كمال ، ونحن نجد في القرآن وفي الروايات والنصوص ، أن المؤمنين لا بد أن يحبون الله ولكل ما يرتبط به ويرمز إليه حتى الملائكة ، توجد في الآيات والروايات أن حب جبرائيل وميكائيل وحب الروح الأمين معيار

لتشخيص المؤمن عن الكافر[1]، وهذه طبيعة واقعة في الذات الإنسانية، الإنسان إذا أحب أحداً أو شيئاً يحب كل المتعلقات بذلك الشيء، فكيف بمن يمثل المحبوب ، وبمن يكون واسطة للمحبوب بين المحب والمحبوب .

إذن فحب آل البيت "عليهم السلام" بنفسه كمال لأنه يرجع ويؤول إلى حب الله وإلى حب الرموز التي تدل على الله تعالى، وحب آيات الله ، والأئمة "عليهم السلام" هم آيات الله والدالون على الله والمشيرون إليه ، وأيضاً ما فيهم من الصفات والكمالات هي في الواقع مشقة من الكمالات الإليهية ، وهم يجسدون الكمالات بدرجة عالية فحبهم يمثل في الواقع حب الله وحب الحيثيات والقيم الربانية هذا بنفسه كمال .

منهج الأنبياء في تربية الإنسان :

نحن لا بد أن نعلم بأن مدرسة الأنبياء ومنهاج التربية الإسلامية تختلف عن مدرسة الفلاسفة والمفكرين والمنظرين ، مدرسة الأنبياء

(١) الصافي للكاشاني ج١ : ٢٤٧ – ٢٥٠ .

مدرسة تتعامل مع الجانب الإنساني والروحي تتعامل مع عواطف البشر وقلوبهم ، لا تتعامل فقط مع الأفكار المجردة والنظرية فيه ، كما قلنا بالأمس ، بل تتعامل مع الجانب القلبي ، لأن هذا الجانب هو المميز للإنسان عن المخلوقات الأخرى، ربما تكون المخلوقات لها درجة من الإدراك ولها درجة من القدرة على التعلم ، إلا أن هذا الجانب العاطفي وما نسميه مدركات العقل العملي المتعلقة بالوجدان والفطرة البشرية ، هذا الجانب من مختصات الإنسان ، وهو الذي يميز الإنسان عن سائر الموجودات ويعطيه هويته الخاصة به ولا يشاركه فيها أي كائن آخر ، مهما صمم على شكل أنيق وغريزة دقيقة في إدراك الأمور ، سواء كان من الحيوانات أو الملائكة، أو من الجان، في الحيوان نستطيع أن نتصور شيء يشبه الإدراك، يقال النمل عندما يؤسس بيته، له دقة هندسية ربما كبار المهندسين لا يستطيعون هندستها هذه قد نعتبرها مرتبة شبيهة بمراتب الإدراك ، إلاّ أن الجانب المتميز بالإنسان ذاك الذي نعبر عنه بالقلب والعواطف والروح ، مدرسة الأنبياء تركز في تربيتها على هذا الجانب أكثر ولهذا تجدون القرآن الكريم دائماً في وصفه للعلاقة بين المؤمنين بالرسالة الإسلامية وبين الله سبحانه

وتعالى، يستعمل لفظ القلب :﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[٢] البر من القضايا المتعلقة بجانب العواطف والقلب...﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[٣] الآيات التي تصف الله وتشرح سنخ العلاقة والعناية الإلهية بالبشر تجدون هذه الآيات دائماً تركز على مقولات هي مقولات عالم القلب والفؤاد والروح، لا عالم المصطلحات البشرية والأفكار المجردة لماذا ؟ لهذه النكتة التي أشرنا إليها .

لأن هذه المدرسة مدرسة الأنبياء ، تريد أن تربى الإنسان وتكمل إنسانيته وكمالاته ، في الواقع أساسها ومجراها هذا الجانب جانب القلب والروح والوجدان .

الإنسان من خلال هذا الجانب يستطيع أن يتكامل وينطلق إلى الخيرات ، الصفات الأخلاقية والوجدانية الحميدة تجدون أنها جميعاً تصدر من القلب لا من العقل ، حتى التضحية ، الإمام الحسين عليه السلام عندما يضحي بنفسه وعياله هذا كونه يعشق الله سبحانه وتعالى، له مرتبة من التعلق العاطفي والوجداني على مستوى العشق المطلق

(١) المائدة : ١٣ .
(٢) الطور : ٢٨ .
(٣) البروج : ١٤ .

الحقيقي ولولا هذا العشق وهذا الحب والعمق في الأرتباط بالله، لما صدرت تلك التضحيات العظيمة .

إذن فهذه خصيصة لا بد أن ندركها في طبيعة مدرسة الأنبياء ، والتربية التي أكتسبتها البشرية في تاريخها من مدرسة الأنبياء تختلف عن التربية التي تكتسبها من مدارس الفلاسفة ومدارس المفكرين والعلماء .

هناك الفلاسفة يتعاملون مع الجانب العقلي المجرد في الإنسان، أمّا الأنبياء فلا يتعاملون مع الجانب العقلي المجرد فحسب ، بل يصبون أهتمامهم على الجانب القلبي والوجداني في الإنسان ويحاولون أن يربو هذا الجانب ، لأن هذا الجانب في الواقع إذا ما نجا وتربى يستطيع أن يبرز جوهرة الإنسانية في الإنسان ، ويصوغ منه كائناً متصفاً بالكمال ومتشبها بالله تعالى ومتصفاً بأخلاق الله تعالى ، ومن خلال هذا المسار وهذا الجانب يمكن للإنسان أن يتسامى ويصعد إلى ما أراده الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يصعد إليه ويجسّد خلافته الحقيقية ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم لغته في شرح العلاقة الإلهية مع البشر لغة الحب والعواطف والأحاسيس الوجدانية ، تجدون الآيات دائماً تصف علاقة الله بالمؤمنين وعلاقتهم بالله سبحانه ، وبقولها يحبهم ويحبونه ، الحب

في الطرفين وإذا كانت هذه طبيعة المدرسة الإلهية وطبيعة تربية الأنبياء للبشرية ترتكز على هذه النقطة . إذن يكون من الطبيعي لنا أن نفهم كيف أن محبة أهل البيت "عليهم السلام" والمودة والقربى لآل الرسول (ص)، هذه أيضاً جزء من هذه الخريطة، وهذه التربية، وهذه الرسالة، وفي ضمن هذا الهدف ، كما قلنا هم ثقل الله تعالى في الأرض وحبل الله الممدود بين السماء والأرض فحبهم حب الله والمودة إليهم مودة إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الشيء الذي يريده الله سبحانه للإنسان لأن الإنسان عن طريق هذا الحب وعن طريق حب الله وما يرتبط بالله ورموز الله سبحانه ، والآيات الدالة على الله عن طريق هذا الحب وبه ومن خلاله يكون كاملاً متسامياً رفيعاً ، لماذا يكمل الإنسان عن طريق هذا الحب ؟ لأن الكمال الحقيقي للإنسان يكون بأقترابه من الكمال المطلق وهو الله سبحانه وتعالى، وباب هذا الأقتراب من الكمال المطلق هو القلب لا الذهن وحده ، لأن الإنسان قد يدرك وجود الله سبحانه ولكن لا يتكامل ذلك ، لأن إدراكه لم ينزل من عالمه المجرد عالم النظريات والمصطلحات إلى قلبه وأحاسيسه ووجدانه وفطرته لكي يتفاعل معه ، كثير من الفلاسفة كانوا يعرفون إثباتات على الصانع وإثبات العقل الأول ، ومناقشات عريضة أخرى

إلاّ أن هذا كان ترفاً نظرياً وأستدلالاً ذهنياً مجرداً ، ولم يخرج من التجرد الذهني عندهم إلى عالم القلب فلم يتكاملوا ، ولعل كثير غيرهم كانوا أكثر منهم كمالاً وأرفع مقاماً في الإنسانية والأخلاق .

إذن كمال الإنسان إنما يكون عن طريق الأقتراب من الكمال المطلق وباب هذا الأقتراب هو القلب والوجدان ، إن قلب الإنسان يتعلق بالله سبحانه وتعالى وهو معنى المحبة والمودة ، إن المودة الحقيقية إنما تكون إذا صدرت من القلب،وهذا مؤشره عادة هو التشبه بصفات المحبوب، الحب الحقيقي لا يغفل المحب عن محبوبه أي عن التشبه بالمحبوب ، قد يكون كثير من الناس يدعون المودة والمحبة ولكنكم تجدون أن أعمالهم لا تشر إلى هذا الشيء ، فلا تقولوا إذا كان الباب هو المحبة والمودة ، فكيف هؤلاء هم موالين ومحبين ومع ذلك تصدر منهم معاصي ،.... في الواقع هذا ضعف في درجة الحب وأصل الحب، وتستطيع أن تقيس هذا الشيء على القضايا البشرية فالذي واقعاً يحب ويعشق محبوباً في الحياة عادة لا ينفك عن التوجه إلى محبوبه والأتصال به ولا ينفك عنه،... نعم هذا الذي تجده ينفك ويدعي أنه يحب، هذا حبه مزيف أو لغايه أخرى، والحب الحقيقي والمودة الحقيقية إذا كانت حقيقة ، كان مبعثها وموردها ومكانها القلب حقاً لا

اللسان والكلام ، فالذي واقعاً يحب الله والإدلاء على الله وهم الأئمة "عليهم السلام" لا ينفك عن الإلتزام بشؤون المحبوب وعن التخلف بأخلاق المحبوب وبما يريده المحبوب من إرشادات وتوجيهات وتوجهات .

إذن فحب آل البيت "عليهم السلام" هدف بنفسه وغاية ، لأنه جزء وجانب ومظهر من مظاهر الحب لله والحب في الله، وهذا هو الكمال الحقيقي في الإنسان بأن يحب الكامل وهو الله، هذا هو حب الكمال وحب الكاملين ، هذا هو الجانب الأول الموجود في هذا المبدأ .

قلنا إن هذا المبدأ هو هدف وغاية في نفسه ، وأيضاً طريق حب الأئمة " عليهم السلام " طريق من طرق الوصول إلى الأهداف التي تريدها الرسالة الإسلامية ، طريق من عدة أعتبارات وجهات ، من جهة لأنه عن طريق هذا الحب سوف يكون هناك توجه وعناية بهذا المحبوب وهم آل البيت"عليهم السلام" ، وهذا المحبوب هو الثقل الحقيقي للرسالة السماوية في الأرض وهو عدل القرآن الكريم ، من خلال هذا الحب ، قلنا أن الآية عبرت بـ(في) ولم تعبر باللام ولم تقل للقربى لأن أحدى النكات في التعبير بـ(في) أفادة للحصول ولأنه هذا طريق ومكان

ومحل وضع المحبة فيه ، والأمة إذا جعلت مودتها ومحبتها في هؤلاء ، سوف يكون هؤلاء باب ربطها بالله، لأنهم معصومون ومكرمون وسوف يكونون مصادر ومنابع أمنية لعطاء الرسالة، وأحكام الرسالة وأخلاق الرسالة ، ومفاهيم الرسالة ، وبهذا الترتيب سوف يكون ضمان حفظ الشريعة الإسلامية هو حبهم وعن هذا الطريق ، وهذه إحدى الجوانب الطريقية في مودة أهل البيت "عليهم السلام" ، قلنا إن المودة ليست مودة شخصية بل رسالية في الواقع مودة تعبر عن منزلة رفيعة لهؤلاء كما شرحنا في الليلة السابقة ، هذا النوع من التودد لهؤلاء سوف يجعل البشرية يأخذون وينهلون أحكامهم وتشريعاتهم من هؤلاء .

بهذا تحفظ الرسالة من أي تحريف أو تشويش أو خطأ كما وقع فيه من لم يجعل حبه لهؤلاء ، بهذا المعنى حيث إنه أحتار وتاه وأنتهى به الأمر إلى مذاهب ضالة مضلة ، فمن هذا الحب سوف تصان الرسالة وسوف تحفظ الشريعة الإسلامية، كشريعة كاملة مكملة، والرسالة الإسلامية كرسالة معطاة، كعقيدة، كأفكار، كمفاهيم، كتشريعات تضيف للإنسان وللوجود الخير والكمال ، هذا شيء .

الشيء الثاني أو الطريقة الثانية الموجودة في هذا المبدأ – مبدأ مودة أهل البيت – ، أن هذه المحبة وهذه المودة لهؤلاء سوف تجعل – بعد ان عرفنا أنها مودة رسالية – قيادة الرسالة الإسلامية في الأرض سليمة ومستقيمة وصالحة .

إقامة العدل في الأرض بحاجة إلى رسالة صحيحة وقدوة صالحة :

الإنسانية في طلبها الدائم لإقامة أحكام الله في الأرض تحتاج وتفتقر إلى عنصرين :

العنصر الأول : الرسالة الصحيحة أو ما يعبر عنه اليوم بالأيدلوجية الكاملة وغير المحرفة والمشوهة ويمثل هذه الرسالة في الدين الإسلامي القرآن الكريم نفسه ، وهو كتاب مصون عن التحريف والتزييف بأي شكل من الاشكال زيادة أو نقصاناً كما حققه العلماء الاعلام .

العنصر الثاني : سلامة من يريد أن يطبق هذه الرسالة ، ومن يتحمل عبء هذه الرسالة عبء إقامة أحكام الرسالة وتحكيمها في الأرض ، وهذه ليست بأقل أهمية وخطورة من سلامة أصل الرسالة ، بل هذه كثيراً ما تتداخل مع العنصر الأول ، إذا فقد العنصر الثاني

يسبب ذلك فقدان الأول أيضاً، فتحرف الرسالة كما حرفت الرسالات الصحيحة كثيراً على مر العصور ، ولهذا تجد حديث الثقلين يجعل العترة والرسالة لا ينفكا فهما ثقلان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر حتى يردا على النبي (ص) الحوض[١]، في الواقع أحدهما يحمي الآخر، وإذا كان القرآن الكريم يعبّر عن العنصر الأول فإذن القرآن الكريم يعرض الشريعة السماوية بشكل كامل، وأكملت الشريعة الإسلامية ، وأكتملت على يد النبي (ص) : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [٢]، والعدل الآخر وهم الأئمة بالأضافة إلى دورهم في شرح وتفسير وتوضيح الشريعة الإسلامية المثبتة في القرآن لهم دور آخر ، دور تحكيم الشريعة وإقامة حكم الله في الأرض، وهذا الدور أن لم يكن أهم لن يقل أهمية عن الأول بل هو يحفظه ويصونه ويجسده ، إذن فنحن بحاجة إلى من يحفظ بقاء الرسالة ويقوم بتطبيق الرسالة تطبيقاً سليماً في الأرض وهذا الدور يقوم به الأئمة "عليهم السلام" ، هذه المحبة والمودة التي أكد عليها القرآن الكريم والسنة والمواقف النبوية ، حيث يلاحظ

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ : ١٦٣ .
(٢) المائدة : ٣ .

من خلال السيرة النبوية أن النبي (ص) لم يدع فرصة ولم يدع مناسبة إلاّ وأكد فيها على المحبة لأهل البيت "عليهم السلام" .

أقول هذا التأكيد البالغ الشديد من النبي (ص) في كل شاردة وواردة ، في الليل والنهار ، **في كل غزوة وبعد كل غزوة كان يقف على باب بيت السيدة فاطمة "عليها السلام" ويخاطبهم بخطاب معين، يرجع من الغزوة أولما يأتي ، يأتي بيت السيدة العظيمة فاطمة "عليها السلام" قبل ان يدخل إلى بيته وداره[1]، ويتكلم في حب السيدة فاطمة وأولادها هذه المرتبة العظيمة وهذا المقدار الرائد والكثير من التأكيدات في الواقع من أجل أنه من خلال هذه المحبة والمودة يمكن للأمة أن تتوجه للثقل الثاني** ، ومن خلال هذه المحبة هؤلاء يتوجهون إليهم وينصرفون عن غيرهم ويجعلونهم الواسطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ، والممثلون لحكم الله سبحانه في الأرض وهذا العنصر الثاني يحفظ من خلال هذه المودة والمحبة ، في الواقع عندما نراجع تاريخ المسلمين ، نجد أن لهذه التأكيدات المتواترة على هذا المبدأ مبدأ محبه آل البيت"عليهم السلام" دور كبير شدّ الناس إلى الأئمة وبالتالي دور كبير في التقليل من التحريف والتشويه الذي منيت به الرسالة

(١) سنن أبي داود ج٣ : ٢٩١ ؛ مسند أحمد بن حنبل ج٥ : ٢٧٥ .

الإسلامية وقيادة الرسالة والتجربة الإسلامية ، فلولا هذه الأرهاصات والأدوار التي قام بها الأئمة كل في مرحلته وبحسب مقتضيات حياته القيادية ، لكانت الشريعة الإسلامية قد أبتليت بما أبتليت به الشرائع السابقة ومسخت ، أصبحت هذه الشريعة أكثر مسخاً من الشرائع السابقة بأعتبار أن الطواغيت الذين أبتلت هذه الشريعه بهم ، كانوا أكثر لؤما وأكثر عدواناً على الإسلام وأكثر كفراناً ممن أبتليت بهم الشرائع والأمم السابقة .

الإنسان عندما يطالع أعمال بني أمية ، يجد أن ما قامت به هذه الفئة الباغية ، لم تقم به أية فئة من الطواغيت في أي زمان ، تعلمون كم بذل معاوية من الأموال في سبيل تشويه كل الأمور الواردة في حق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبأشكال مختلفة من العمل وحرف الروايات الواردة عن الصحابة والتابعين[1]، وأستطاع أن يشتري الضمائر من الذين كانوا يعتبرون مرموقين على أن يضعوا الأحاديث إمّا في ذم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو في تثبيت نظائرها في الآخرين في حقه أو بعض الصحابة الآخرين، **يقول أبن أبي الحديد : ((وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي أن معاوية وضع قوماً من**

(١) الغدير : ج ٥ : ٢٠٩- ٢٧٥ .

الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير))[1]، ما بذله من الأموال الطائلة في أستمالة كل من كان يمكنه أستمالته من شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يكتب لكل ولاته وعماله، لاحظوا من كان متشيعاً لأبي تراب – كان يطلق عليه أبي تراب – إذا كان يمكن أستمالته أستميلوه بالأموال وإلا فاقتلوه واحذفوا أسمه من الديوان... محاولات وممارسات عجيبه .

حتى لاحظت في بعض التواريخ ممارسة في ممارسات هؤلاء تشبه ممارسات الطاغية صدام ، يقول أن ولاة معاوية على العراق رحلوا وهجروا وسفروا (٥٠) الف من شيعة علي ، من الكوفة إلى خراسان ، هذه التواريخ تذكر أن الممارسات التي يطبقها هذا الطاغوت الجاثم على صدر شعبنا في العراق[2] نفسها كانت متبعة في ذلك الزمان ، و (٥٠) الف من المؤمنين سفروا عن ديارهم وهجروا

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج٤ : ٦٣.
(٢) حيث كانت هذه المحاضرات قد ألقيت في زمن الطاغية المقبور .

وشردوا لا لذنب إلا أنهم يوالون علياً عليه السلام ،في كتب التاريخ يذكر أن الشخص كان أخوف ما يخاف على نفسه أن يتهم بأنه من شيعة ومحبين علي عليه السلام ، كان يلعن والديه لماذا سموه بأسم من الأسماء المشابهة لأسماء آل البيت"عليهم السلام"، إلى هذه الدرجة وصلت الممارسات القمعية الرهيبة وسياسة الترهيب والترغيب، أسلوبان أستعملها بنو أمية في سبيل تشويه هذا الخط الذي هو في الواقع خط الرسالة ، وإلا لاعيب التي مارسوها والنظريات التي جاؤا بها من أجل أن يمحو هذا الخط ، قرأت في كتاب ... كان يقول جاء ، الوليد فأحضر أربعين صحابياً هؤلاء الأربعون أجمعوا على أن خليفة المسلمين ليس له حساب وكتاب يوم القيامة لأنه ساقط ومرفوع عنه القلم ، هذا المد المنحرف الهدام الذي أوجدته الفئة الباغية لو لم يقابله النبي(ص) منذ البداية بالأحاديث والتأكيدات على حب آل البيت"عليهم السلام" وأنهم ثقل الله سبحانه وتعالى وعدل القرآن الكريم ... وأيضاً المواقف التي وقفها الأئمة أنفسهم في صون الرسالة والذّب عنها ورفع هذه التحريفات ... ولولا هذه المقابلة كانت تقع المصيبة وكانت الرسالة تمسخ حقاً في الواقع ، من النكات التي تستأثر بأهتمام الإنسان في مقام أستعراض التاريخ ومسيرة الأئمة"عليهم السلام"، أستطاعوا ليس فقط

أن يحفظوا خط الإسلام الصحيح المتمثل في الخط الشيعي ومن أصحابهم حاملي تراثهم وفكرهم وهديهم ، بل حتى الخط العام الإسلامي عندما صار ما صار من الاتجاهات والتيارات والمشاكل نتيجة أعمال هؤلاء المنحرفين والبلبلة التي زعزعت الوضع العام للمسلمين وأوجبت التشويش في ذهنية المسلمين ومعتقدات الإسلام الأولية ، أستطاعوا أن يحفظوا سمعتهم ومنزلتهم حتى من الخط العام ويحفظوا بذلك ما يمكن حفظه من أصول الرسالة الإسلامية على المستوى العام ، ولهذا تجدون أن الأئمة يمتازون بدرجة من القدسية حتى عند غير أصحابهم ، لا يجسد شخص عند المسلمين يشكك في مقام الأئمة كعلماء وكذرية رسول الله (ص) وكأكرم وكأفضل الناس حتى الأعداء ، حتى بنو أمية لم يستطيعوا أن يشككو الأمة فيهم، فهذا معناه أن هؤلاء أستطاعوا أن يقوموا بدور دقيق وخطير ، بحيث أستطاعوا أن يحفظوا دورهم حتى في التأثير على الأعداء وعلى الساحة ، ساحة الأعداء ومنطقة الأعداء وشعب العدو ونفسية المخالفين وبذلك أستطاعوا أن يحفظوا ما يمكن حفظه من أصول الشريعة والرسالة ، من الفكر الإسلامي الصحيح والأخلاق والمبادئ الإسلامية الصحيحة ، حتى الفقه السني أو كتب السنة الآن تجدون

فيها تشابهاً كبيراً وفي دائرة واسعة مع ما موجود في الفكر الشيعي ، وهذا من نتاج عمل الأئمة "عليهم السلام" ، هذا الحفظ في كتب أبناء العامة ، هذا المقدار المحفوظ فيه من الإسلام هو مقدار معتد به خصوصاً في الفروع والتشريعات والأحكام الإسلامية والقضايا الإسلامية العامة غير ما ترتبط بالخلافة والقيادة ، وهذه المسائل المحفوظة في الواقع حفظها الأئمة "عليهم السلام" في هذا المجال بجهودهم ودقة عملهم وسياساتهم التي أستطاعت أن تجعلهم مقياساً للحق والباطل حتى عند أولئك من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

إذن هذا الحب بحسب الحقيقة له طريقة بهذا الشكل أيضاً حيث أستطاعت الأمة الإسلامية أن ترتبط بالأئمة ولو بهذا المقدار ، وأن تجعل منهم العلماء الفضلاء الذين هم أعرف الناس من غيرهم بأحكام الإسلام لأنها نزلت في بيوتهم أخذوها عن آبائهم ، وأحد الشواهد أن الأئمة في كثير من الموارد عندما يذكرون الحكم الشرعي يسندوه إلى النبي(ص) يقول عن أبي عن جدي... عن رسول الله(ص)، والواقع أنه لا يحتاج إلى ذلك وهو يحدث زرارة أو محمد بن مسلم، ولكن مع ذلك لا يكتفي بهذا المقدار بل يسنده إلى النبي(ص) لأنه لا ينظر إلى زرارة فحسب ، بل ينظر إلى أبعد منه لو كان يريد أن

يحاكي زرارة فقط يكفي أن يبين له الحكم الشرعي وزارة مؤمن به بل هو يقصد أن يؤثر حتى على الفقه السني ، لأن أولئك يجدون رواية صدرت عن الإمام الصادق عليه السلام مسنودة إلى النبي(ص) عندما لا يمكن أن يناقش فيها لأن هؤلاء أناس معروفون لا يشك أحد في فضلهم وتقواهم ودينهم وعلمهم، والحديث المعروف بذات السلسلة الذهبية، حديث الإمام الرضا عليه السلام عندما قدم إلى مرو ، وكان أكثر المدة من السنة أنذاك ، تجدون أنه لا يبين الحديث من قبل نفسه بل يسنده عن أبيه عن جده عن رسول الله ويصله إلى الله جل شأنه ، هذه العنايات من أجل أن يبقى للأئمة دور حقيقي في حفظ ما يمكن حفظه ، حتى في مجتمع الذين كانوا يعادون خط الأئمة بشكل وآخر والذين أستعان بهم الطواغيت لغصب مقامهم وحقهم وغصب الخلافة عنهم ، حتى تلك الساحة والمجال كانوا يهتمون في حفظ الشريعة والرسالة ، وهذه المودة والمحبة والمبدأ الذي سميناه بالمحبة لأهل البيت"عليهم السلام" كان له دور مهم في النتيجة وهذا الهدف الذي حققه الأئمة ، بل أستطيع أن أقول أكثر من هذا ، أن أحد عوامل نجاح الثورات الإسلامية في العالم هو هذا المبدأ ، فأن من أهم العوامل في نجاح الثورات الإسلامية

هو مبدأ الولاء المطلق والمحبة على مستوى الفناء والذوبان في حب آل البيت "عليهم السلام" .

وهذه المجالس الضخمة التي كانت تعقد تحت العديد من العناوين بأسم مجالس أبي عبدالله الحسين عليه السلام، بأسم مجالس المناجاة والذكر ، بأسم دعاء الندبة ودعاء الندبة مناجاة مع الإمام الحجة(عج) وأنتم تعلمون ما لهذا الدعاء من دور كبير في الربط بالأئمة "عليهم السلام"، والشد الوثيق بمبدأ القيادة للمعصوم، والأرتباط بالقيادة المعصومة يعني الأرتباط بمستلزمات المعصوم ويأتي منها خط المعصوم وأفكار المعصوم، ومنها خط نواب المعصوم وهم العلماء ، فلا أشكال أن هذا الأرتباط العاطفي الوثيق الشديد كان له دوره في شد الجماهير الشيعية بعلمائها وبمراجعها ، فأستطاعت هذه الجماهير أن تصل إلى ما وصلت إليه ، بحيث لولا هذه التربية الحقيقية ، على مستوى التعلق والذوبان في حب آل البيت "عليهم السلام" ما كان يمكن أن تنشد الأمة بهذا المستوى من الأنشداد بخط الإمام (عج) ونوابه .

إذن هذا المبدأ مبدأ المحبة لأهل البيت "عليهم السلام" بالأضافة إلى خلفياته الفلسفية والعقائدية ، هذا المبدأ له مثل هذه الآثار الأجتماعية والتاريخية وهي حتماً كانت منظورة للنبي (ص) عندما

كان يؤكد على محبة آل البيت "عليهم السلام" ، كان ينظر إلى مثل هذه الآثار ، وفي الواقع من دون هذا المبدأ ومن دون التوغل العاطفي في مودة الأئمة والعشق الحقيقي لهم ، لا يمكن أن تقيم حكماً أسلامياً صحيحاً بالنحو الذي نريد وبدونه أما لا ننجح في أصل القضية ، أو إذا نجحنا ننتكس ، من دون هذا الحب لا نملك تلك الدرجة من التشبه والتخلق بأخلاق الأئمة "عليهم السلام" .

الحمد لله رب العالمين

المحاضرة الرابعة

١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قلنا إن مبدأ مودة أهل البيت"عليهم السلام" ومحبتهم وموالاتهم، هذا المبدأ فيه جنبتان ، جنبه موضوعية وجنبة طريقية ، محبة أهل البيت وتولي أهل البيت، بنفسها هدف وغاية لأنها محبة لله سبحانه وفي الله، وبهذا سيكون كمالاً وهدفاً وهذا هو الجانب والبعد الأول ، وحيث أن هذا المبدأ يقع طريقاً لهدف كبير ومهم كانت تستهدفه الرسالة من خلال وضع هذا المبدأ ، كانت محبة أهل البيت"عليهم السلام" طريقاً ووسيلة أيضاً،وهذا هو البعد الثاني ، ومعرفة هذا البعد الثاني في محبة أهل البيت "عليهم السلام" تتوقف على معرفة الدور الذي ألقى على عاتق أهل البيت "عليهم السلام" والمسؤولية التي يتحملونها أتجاه الرسالة الإسلامية ، والهدف الذي صمّموا وخلقوا من أجل تحقيق ذاك الهدف، فمسبقاً يجب أن نعرف ما هو هذا الدور ؟ وأئمة أهل البيت "عليهم السلام" من أجل ماذا جعلوا وصمّموا أئمة ؟

الدور الرسالي لآئمة أهل البيت "عليهم السلام":

في الواقع أي رسالة وأي عملية تغيير رباني للبشرية تتوقف أتمامها وتكميلها على أمرين أو مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة تأسيس الرسالة وصنع الأمة الرسالية وأيجاد المجتمع المؤمن بالرسالة السماوية وهذه هي المرحلة الأولى ولنصطلح عليها (مرحلة التأسيس والتنزيل) وهذه هي التي تقع مسؤوليتها على عاتق الأنبياء ، فأن الأنبياء والرسل مسؤوليتهم والهدف الذي خلقوا من أجله إنما هو تأسيس أصل الرسالة وتنزيلها من السماء وأيصالها إلى الناس ، وهذه هي المرحلة الأولى .

المرحلة الثانية : بعد ما تأسست الرسالة يعني نزلت وشرعت وأكتملت في نفس أمرها، وأيضاً صنعت أمة على أساسها وإن كان مجتمعاً بشرياً صغيراً قام بهذه الرسالة المشرعة .

بعد ذلك تأتي مرحلة أخطر وأكثر صعوبة من المرحلة الأولى وهي المرحلة الثانية ولنصطلح عليها بمرحلة ((صيانة الرسالة))، تلك كانت مرحله التأسيس وهذه صيانة الرسالة عن التحريف والتأويل فإن الرسالة قد تبتلى بعقبات وهزّات من قبل الشياطين ، شياطين الجن والأنس فتتعرض لأخطار فلا تبقى ، فإن الرسالة وإن كانت قد

أسست إلا أنها في مرحلة البقاء تحيط تلك الرسالة وتعوّق مشاريعها وأهدافها في الحياة البشرية وتنتهي هنا تبرز الحاجة إلى مرحلة الصيانة وهي المرحلة الثانية ، وهي المسؤولية الملقاة على عاتق الأوصياء، فمسؤولية الأنبياء تأسيس الرسالة أيدولوجياً وتأسيس الأمه تربوياً وهي المرحلة الأولى في مقابل ذلك توجد مسؤولية ثانية ومرحلة ثانية هي مسؤولية الأوصياء ، وماذا تعني الوصاية ، تعني حفظ وصيانة الرسالة التي أسسها النبي(ص) وشرعها ، وصيانة الأمة الرسالية التي أوجدها النبي(ص) وربّاها ، فإن كلا الأمرين يحتاج إلى صيانة والذي يقوم بهذه الصيانة هم الأوصياء وفي نبوة نبينا الأوصياء هم الأئمة "عليهم السلام"، من هنا نفرق أن الأطار العام والخط العام للأئمة"عليهم السلام" هو هذه المسؤولية ، وهذه هي الخطوة الثانية التي تكمل مرحلة التأسيس ، ومن هنا كان التعبير القرآني عن مبدأ وصيانة الأئمة "عليهم السلام" بأن في هذا كمال الدين : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1]. إن المرحلة الأولى لو بقيت من دون الثانية كان معرضاً للخطر ولا يكتمل البناء ، إنما يكتمل البناء وهذا الصرح عندما تكتمل وتتم المرحلتان ، وتحدّد المسؤوليتان ، وتشخص مهام الذين لا بد وأن يقوموا بالمسؤولية

(١) المائدة : ٣ .

الثانية ، هذا هو الأطار العام لفهم دور الأئمة "عليهم السلام"، وإن الأئمة هم الذين أكملوا الدين ، ومعنى أكملوا الدين ، أي هم الذين قاموا بمسؤولية صيانة الرسالة والأمة الرسالية التي أوجدها وخلفها النبي(ص) ، هذا هو الأطار العام لوضع الأئمة "عليهم السلام" جميعاً من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام الحجة (عج) ، وهذا هو المضمون والقاسم المشترك في مواقف وأعمال وجهود الأئمة جميعاً ، وما يرى في المواقف الخاصة لهذا الإمام عليه السلام أو ذاك من تفاوت عن مواقف الإمام الآخر ، فإمام يصالح وإمام يثور وينهض ، وإمام يدرس وآخر يدعوا وهكذا ... هذه الأختلافات ، أختلافات في السطح والمظهر والشكل ، وفي الواقع لا ترجع إلى الفرق فيما بينهم من ناحية هذا المبدأ ، مبدأ الصيانة ، لأن كل هؤلاء مواقفهم كانت من أجل تحقيق هذا الغرض إلاّ أن طبيعة الصيانة تختلف من ظرف إلى ظرف ، من مكان إلى مكان ، من طاغوت إلى طاغوت ، من نوعيه الخطر المحدث بالرسالة والتجربة الإسلامية إلى نوعية أخرى ، وهذا الخطر لم يكن ذا صيغة ثابتة واحدة ، بل له أشكال مختلفة ومتعددة نتيجة تعدد الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية ، وأختلاف صيغ المجابهة العقائدية والاجتماعية ، تعدد الطواغيت وتعدد أساليب

المجابهة والتحدي والتحريف ، والذين كانوا يهدفون من خلالها إلى تحريف الرسالة برمتها ويقفوا حجر عثرة أمام حركة وأستمرار الرسالة، أختلاف هذه الخصوصيات كانت تستوجب موقفاً خاصاً لكل إمام ، وكانت هي الأساس في أختلاف نوع المواجهة والعمل والموقف الذي أتخذه كل إمام ، لكن الجوهر واحد، المحتوى في كل هذه المواقف رغم أختلاف الشكل واحد .

وهو صيانة الرسالة ، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى إن الصيانة لها جنبتان ، هناك صيانة للشريعة وصيانة للأمة كواقع بشري مجسد في الخارج ، الصيانة التي هي مسؤولية الأوصياء، هذه الصيانة لا بد معها لوصي الرسول أن :

أولاً : يحفظ الشريعة والرسالة الربانية من أن تحّرف وتغير مفاهيمها وتغير قيمها وتطمس معالمها وهذه صيانة للرسالة .

وهذا النوع الأول من الصيانة التي ترتبط بحفظ الشريعة الربانية والرسالة الإلهية كتعاليم وديانة وأحكام وعقائد ومفاهيم وكقيم وأخلاق .... هذه الصيانة الأولى .

وثانياً : صيانة الأمة فإن الرسالة لا يطلب منها رسالة بذاتها فقط ، أي مفاهيم متكاملة وناضجة ومبرهنة وسليمة ، بل الرسالة

الكاملة السليمة المنسجمة مع الفطرة البشرية لا بد أن تتجسد في الخارج مع المجتمع في الحياة وإلا تبقى بين الدفتين فقط ، لا بد أن هذه الرسالة تكون رسالة حيّة ، يعني أن يكون هناك مجتمع وأمة تؤمن بهذه الرسالة وتجسد تعاليمها في واقعها الخارجي ، هذه الرسالة المجسدة أيضاً معرضة للخطر بل أخطار الرسالة المجسدة أكثر من الرسالة المجردة ، الرسالة المجسدة في أمة معينة في الحقيقة تتعرض للأخطار والتشويهات والأنحرافات التي تنشأ من الواقع الاجتماعي والواقع المجسد .

إذن هناك في الحقيقة صيانتان ، مسؤولية الصيانة ترجع إلى محورين للصيانة ، محور نفس الرسالة بأن تصان من التحريف كما في كثير من الرسالات الربانية السابقة التي حرّفت ، إذا أستوضحنا الرسالة اليهودية مثلاً لا نستطيع أن نجد أصول ومبادئ وأحكام وتشريعات هذه الرسالة ، نجد أشياء مكنونة في الكتب المنتسبة إلى الديانات إلا أنها مليئة بالتحريفات والخرافات والمبادئ الفاسدة والمعتقدات السخيفة... خصوصاً ما يرجع إلى التوراة وبالذات أوصاف الله سبحانه وتعالى وعلاقته مع الأنبياء ، وعلاقة الأنبياء به ، تجد هناك من التصورات ما يكون أسفل وأحقر من أسخف الفلسفات

الملحدة المادية ، على الأقل في التيارات الملحدة ينفي عالم ما وراء الطبيعة ولا تصور لك في ذلك سخافات .

فهذه الرسالة لم تنج من التحريف كرسالة ، وأنت إذا أردت أن تأخذ تعاليم الشريعة ، شريعة التوارة لا تجد أمامك هذه الرسالة محفوظة ، وإنما تجد شيئاً ممسوخاً أسمه الرسالة اليهودية وواقعه يختلف عن تلك الرسالة السماوية .

هذه الصيانة الأولى صيانة نفس الرسالة أن لا تحرف وتغير تعاليمها وتبدل قيمها ومفاهيمها إلى قيم ومفاهيم أخرى وتشريعات أخرى ظالمة وفاسدة وغير صحيحة، إلا أن هذا النحو من الصيانة لا يكفي لتربية الإنسان ، توجد هناك تعاليم لبعض الفلاسفة أو الحكماء محفوظة الآن كتعاليم ، ربما تكون صحيحة ومضبوطة ومحفوظة في كتبه من دون تحريف إلا أن المحفوظ أفكار مجردة ، نظريات وحكم مجردة محفوظة بين دفتي الكتاب ، إلاّ أنه لا تجد أفكار هذا الحكيم أو أفكار أفلاطون مثلاً مجسدة في مجتمع واقعي أو أمة واقعية تقوم بتطبيق التعاليم التي جاء بها أفلاطون أو سقراط ....

إذن فحفظ الرسالة كرسالة مجردة لا تكفي وحدها ، بل لا بد من أن تكون للصيانة الجانب الثاني وهو جانب حفظ الأمة، أستطاع

النبي والرسول أن يصنعها ويجسّد فيها رسالته السماوية فإن الرسالة والتشريعات والقيم الإلهية التي نزلت على النبي(ص) لم تنزل من أجل أن تكون نظريات وآراء وفلسفة ، بل نزلت من أجل أن تكون واقع وحقيقة في الخارج من أجل أن يقيم الناس القسط والعدل الذي جاءت به الرسالة ، فالهدف من وراء تشريع الرسالة بكل أبعادها المفهومية والتشريعية الهدف النهائي إنما هو أن تنتهي الرسالة إلى واقع حي إلى أمة رسالية ، هذه الأمة الرسالية خلقها وصنعها النبي(ص) بقدرته الفائقة الرائعة التي لا نظير لها في التاريخ البشري كله، أستطاع أن يخلق ذلك من خلال تسلسل الوحي وكانت العمليتان معاً ، إذ هو يصنع الأمة ويربيّها ، وأيضاً تأتي في كل مرحلة التشريع المناسب ، تأتي الرسالة ويكتمل هذا الجزء وذاك الجزء والأجزاء الأخرى من الرسالة نظرياً وتطبيقاً ، هذه الأمة التي صنعها الرسول(ص) وربّاها بجهوده ونفسه المؤثرة رغم قصر الفترة الزمنية أستطاع أن يخلق منها أمة رائدة ويصنع من ذاك المجتمع البدوي القاسي المليء بالتناقضات والمشاكل ونقاط الضعف،من تلك الأمة الجاهلية خلال فترة زمنية وجيزة أمة رائدة للبشرية كلها ، أمة ذات قيم ومثل وحضارة ، خلق منهم أناساً في قمة الوعي والدين والفكر والروح الجهادية والأستعداد

للتضحية والشهادة ، خلق من هؤلاء الأعراب الجافين من العطاء خيرة البشرية، هذه أمة رسالية صنعت على يد النبي(ص) ، ونجح النبي في أداء دوره ومسؤوليته والتي سميناها مسؤولية تنزيل الرسالة وتأسيس الأمة الرسالية ، هذه الأمة التي هي رسالة مجسدة في الحياة ، هذه البشرية لا بد وأن تنحفظ وليس أشخاصها ينحفظون، فإن المجتمع له وجود موّحد بقطع النظر عن أجزائه وأفراده ، المجتمع يكون باقياً كوحدة نوعية الأمة الإسلامية ، الآن هي ذاتها تلك الأمة التي مضى عليها مائة عام ، الأفراد يتبدلون يموتون ويأتي آخرون وهكذا يتبادلون ، إلاّ أن الأمة كموجود معنوي كائن بذاته، كموجود وحداني ثابت ، في نظريات علم الاجتماع يقال إن المجتمع كمجتمع له وجود خاص غير الأجزاء والأفراد ، وله أحكام وأوصاف خاصة ، المقصود عندما نقول الأمة الرسالية باقية إنها تنحفظ كأمة، وليست كأشخاص، أولئك الذين كانوا يمثلون الأمة الإسلامية في أيام الرسول(ص)كلهم قد رحلوا، أنتهوا ، ولكن كأمة تبقى، كمجموعة قيم مجسدة في الحياة سوف تبقى، كحرارة وطاقة رسالية تبقى ، من خلال الوجودات الأخرى التي تأتي وتحتمل مراكز الوجودات الأولى بالتدريج وتبقى بشكل متناوب ، إذن هذه الأمة ، لابد وأن تصان من أن تنحرف

وتحكمها الحضارات والقيم والأفكار الفاسدة وتحكمها الأنظمة والشرائع المنحرفة ، وهذا البعد الثاني من الصيانة .

إذن فالأئمة الذين هم أوصياء الرسول ، مسؤوليتهم مسؤولية صيانة الرسالة وهذه الصيانة لها بعدان ، لها جانبان ، جانب صيانة نفس الرسالة فتنحفظ من أن تحرّف وأن تطمس معالمها وتغير من شكل إلى شكل ، من فلسفة أخرى ، وهذه حفظ للشريعة والرسالة كرسالة مجرّدة ، وأيضاً صيانة للأمة الرسالية تصان هذه الأمة من أن لا تتناولها أيدي الطامعين والظالمين والطواغيت ، فتغير من مجرى حركتها ومسارها التاريخي في الحياة تجعل منها أمة ذليلة يسودها الظلم والعدوان والفساد فهذه صيانة للأمة كأمة نوعية متميزة هاتان الصيانتان هي مسؤولية الأوصياء والأئمة "عليهم السلام" .

لماذا الأختلاف بين الأئمة في موافقهم السياسية ؟ !

عندما تجد فوارق في حياة إمام عن إمام ثان ، فهذا التمييز بين الصيانتين يفسر لنا قسماً من هذه الفروق وجانباً منها ، فأنك مثلاً عندما تجد الإمام الباقر أو الصادق"عليهما السلام" يهتمان ويتوجهان إلى تعليم الناس فقه الرسول(ص) والأحكام الشرعية والنظريات

الإسلامية ، يهتمان بذلك ويكرمان جهودهما ووضعهما وحياتهما ، بينما نجد الإمام الآخر كأنه ليس له شغل بالنظريات العلمية والشرعية وإنما همه الأكبر الجانب السياسي مثلاً والثورة... هذا الفرق بين الموقفين ، بين دور هذا الإمام الظاهر في التاريخ ودور ذاك الإمام أيضاً قد يكون راجعاً إلى هذه النقطة ، التي أشرنا إليها أي أن الخطر الذي كان يهدّد الإسلام في زمن الإمام الباقر أو الإمام الصادق "عليهما السلام" كان خطر يهدّد تحريف الرسالة كرسالة ، نتيجة الأفكار والنظريات التي طرحت والتي جرّها الحكام إلى العالم الإسلامي ، وحاولوا من خلال تلك النظريات والأفكار التي كانت تخدم سلطتهم وحكمهم، بلبلة الأحكام والنظريات والمعتقدات وتشويهها ، فحينئذ تجد أن الإمام الصادق والباقر "عليهما السلام" قد أدركوا بأن الرسالة هدّدت بالخطر فلا بد من صيانتها كرسالة، الخطر توجه إلى صميم الرسالة كمحتوى إلهي هادف ، إذن توجه الإمام إلى صيانة الرسالة من هذا الجانب بينما الإمام الآخر الإمام الحسين عليه السلام مثلاً الخطر بدأ بالجانب الثاني، الخطر يهدّد الرسالة الحية المجسدة ، الخطر متوجه إلى الأمة الرسالية، وإن الطغاة بدوأ بتفتيت الأمة الرسالية وتذليلها وأخذ الحيّوية الرسالية منها ومسخها، أمة ذليلة طائعة لا تفكر إلا في لقمة

العيش، تخاف من كل سطوة تلتزم وتطبع وتبايع أي شخص مهما كان هذا الشخص فاسقاً فاجراً، هذا تمييع للأمة، المفاهيم قد تكون واضحة، لأن الأئمة بين ظهراني المسلمين ، والصحابة موجودين والأحاديث كانت كتشريع وكرسالة مجردة محفوظة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فالخطر لم يكن متوجهاً أبتداءاً في زمن الإمام الحسين عليه السلام للرسالية كرسالة بل كان متوجهاً للأمة الرسالية كأمة .

من هنا تجد أن موقف الإمام الحسين قد أختلف عليه السلام ، ذهب إلى أحياء الأمة وصيانة الأمة الرسالية من أن تموت وأن تنتهي، نستطيع أن نفسر قسماً من الفوارق بين مواقف هذا الإمام وذاك الإمام على هذا الأساس وكلا الموقفين هو في الواقع ذا محتوى واحد ، وهو ما أشرنا إليه أي الصيانة ، إلاّ أن الصيانة نفسها كما هو مجسد في مواقف أئمة أهل البيت "عليهم السلام" لها جنبتان ، الآن وبشكل أجمالي عرفنا أن الدور الذي يتحمله الأوصياء عبارة عن دور صيانة الرسالات وحفظها من أن تمسها يد التحريف والهدم ، إذا كان هذا هو الدور الذي من أجله خطط لمبدأ الإمامة والوصاية بعد الرسول(ص) حينئذ نفهم أن هذا المبدأ والهدف بحاجة إلى مقدمة أساسية ، وهذه المقدمة أن هؤلاء الذين يراد منهم وتريد السماء منهم أن يصونوا الرسالة

ويحفظوها من الأنحراف والهدم ، هؤلاء لا بد ان يكون لهم موقع ومنزلة خاصة بين هذه الأمة التي أسسها النبي(ص) وأوجدها، هذا الموقع والمنزلة تمكنهم من أن يقوموا بهذا الدور ومن أهم الأسس في تحقيق هذا الهدف أن يكون هناك تعلق قلبي وحب ومودة خاصة من قبل الناس لا يشوبها أي شك ، لأنه مبدأ ثابت في أصل الشريعة، كأصل من أصول الرسالة لذلك نجد النبي(ص) يهتم أهتماماً أكيداً بالغاً في أن يكرس ويرسخ فكرة محبة أهل البيت"عليهم السلام" ومودتهم في نفوس الأمة الإسلامية ، لأنه يعلم أنه بهذا سوف يتمكن هؤلاء من أن يقوموا بالدور الذي لا بد أن يقوموا به ، فتأكيد النبي(ص) على محبة أهل البيت"عليهم السلام" في الواقع تخطيط وبداية من النبي(ص) ومن الرسالة ، بالإعداد لدور الوصاية لهؤلاء ، النبي(ص) بدأ يعدّ الأمة وهؤلاء أن يكونوا حفظة هذا الدين وأن يصونوه عن أي تحريف، وأي هدم، وأي طمس لمعالمه ، وأي تمييع للأمة الرسالية ، فهذا إعداد وتمهيد لدور الصيانة التي لا بد وأن يتحملها الوصي وهو الإمام ، فمسألة محبة أهل البيت"عليهم السلام" ومودتهم بالأضافة إلى الجانب الأول الذي هو في نفسه حب لله، وكمال الحب لله هو التكامل في الإسلام ، الإنسان يتكامل بالقرب إلى الله، والقرب إلى الله يعني قرب

القلب والتوجه والذوبان ، والأتصال الروحي والقلبي بالله ، فحب هؤلاء حيث إنه حب لله في نفسه كمال وتكامل للإنسان إلاّ أن هذا أحد الجانبيين في فلسفة هذا المبدأ ، وفي حكمة هذا المبدأ الأصيل والجانب الثاني أن هذا المبدأ هو الذي كان يعدّ هؤلاء في الأمة أن يقوموا بدورهم الحقيقي وهو دور الصيانة، فلولا تأكيد النبي(ص) وتأكيد القرآن والنصوص التي لا يمكن أن يشكك فيها لكثرتها وتضافرها على مبدأ محبة أهل البيت "عليهم السلام" ومودتهم ، ولهذا لاتجدون في تاريخ الأئمة جميعاً في زمن أي واحد من هؤلاء الأئمة، بأستثناء مشكلة الخوارج المصطنعة والمنتهية التي كانت مشكلة فنية ولم تكن واقعية ، لا يوجد أي تشكيك في حقانية الإمام من قبل أي شخص حتى من الأعداء الذين كانوا يريدون أن يقتلوا الإمام، فقتلة الإمام الحسين عليه السلام كانوا يعترفون أن الحسين عليه السلام كان أبن بنت رسول الله، الرسول أكد على محبته ، وعلى مودته ، ولهذا قال الفرزدق للحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق قال (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)[1]، إذن قلوبهم معك ما الذي جعل هؤلاء تكون قلوبهم معه

(١) الأمالي للصدوق : ٩٣ ، إحقاق الحق ج ٢٧ : ٢٠١ .

مع إنهم كانوا يريدون قتله ، لأن سيوفهم كان عليه أي يريدون قتالك، ما هو العمل الذي أدى إلى أن تكون قلوب القاتلين مع القتيل ؟ !

الجواب إن هذا كان من جراء هذا المبدأ ، من جراء أن القرآن أكد عليه والنبي(ص) لم يدع فرصة ومناسبة إلاّ أستغلها في سبيل ترسيخ هذا المبدأ ، ترسيخ محبة آل البيت"عليهم السلام"،كان النبي(ص) على عظمته يتذلل ويتبرك بالحسين عليه السلام وهو طفل صغير ويصدر في حقه البيانات الفخمة ، بحيث الإنسان الذي لا يعرف خلفية المسألة يستغرب، هذا النبي(ص) الذي هو نبي البشرية خاتم الأنبياء جميعاً كيف لا يتمالك نفسه أمام طفل من أطفاله، هذه المواقف كانت لها أبعادها ومدلولاتها ونتائجها في حياة المسلمين ، وإن أحداً لا يمكن أن يشك في أنه لا بد أن يوالي بقطع النظر عن الجانب الحقيقي الموجود في هؤلاء من الكمال المطلق ، فإن المثالية التي لا يوجد نظير لها لأي فرد من المسلمين وهي موجودة في كل جانب من جوانب الفضيلة في هؤلاء، لا يكفي وحده ، كثير في العالم كانوا أناس عند الله من أكمل الناس إلاّ أنه لم يعرفهم أحد في التاريخ، لم يكن لهم دور في التاريخ، هذا كامل معصوم أريد له موقع أجتماعي خاص وكلف بعملية تغيرية خاصة ، صيانة الأمة بالنحو الذي بيناه، فإذا كان معّداً لمثل هذه المهمة

فلا يكفي أن يكون واقعاً وثبوتاً إنساناً كاملاً ومعصوماً بل هذه العصمة الثبوتية لا بد أن تكون أثباتية أيضاً بحيث تنعكس على الناس ، بل لا يكفي الأنعكاس لا بد أن يكون له أرضية ورصيد قلبي عند الناس أيضاً وهي المحبة والولاء والمودة لهؤلاء .

إذن هذه المحبة كانت حجر الأساس، كانت حجر الأساس لجعل هؤلاء يستطيعون أن يقوموا بدورهم الحقيقي في صيانة التجربة الإسلامية في المجالين كل بحسب ظروفه وخصوصياته، إذن فمبدأ محبة آل البيت "عليهم السلام" هو بنفسه هدف وغاية ، في نفس الوقت طريقة ووسيلة وخط يحفظ الدور الذي كلف هؤلاء بأدائه وهو دور صيانة الرسالة الإسلامية .

أنتهينا من الجانب الطريقي من هذا المبدأ ، وننتقل إلى موضوع آخر وهو موضوع الدور الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام ،الإمام الحسين عليه السلام وقضيته لا بد أن نفهمها، الإطار العام لعمل ودور الأئمة "عليهم السلام"، هو أطار الصيانة وحفظ الرسالة في الجانبين عن الأنحراف والتغير والهدم ، إلاّ أن هذا الأطار العام سوف لن نخرج عنه، دائماً نجد هذا الإطار في موقف كل إمام من الأئمة ، ولا يمكن أن نخرج عنه في تفسير حياة هذا الإمام أو ذاك ، نريد أن نفهم طبيعة

الإطار في ومن الإمام الحسين عليه السلام وهذه الصيانة كيف وقعت وما هو الخطر الذي كان محدقاً بالرسالة أو بالأمة الرسالية وكيف خطط الإمام الحسين لدرء هذا الخطر المحدق بالرسالة والأمة الرسالية، وكيف كان تخطيطه أنجح وأروع تخطيط ، في الوقت الذي كان أكمل تخطيطاً للبشرية، لأنه يحمل قيمة ذاتية كبرى لا يقابلها أية قيمة بشرية في علاقة الإنسان بربه ورسالته .

الحمد لله رب العالمين

المحاضرة الخامسة

١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أنتهينا إلى هذه النقطة وهي أن رسالة الأنبياء والرسل ومسؤوليتهم هي تأسيس الشريعة وصنع الأمة الرسالية الربانية، ومسؤولية الأوصياء والأئمة صيانة الأمة الرسالية وصيانة الرسالة المؤسسة، وقلنا إن هذه الأطار العام لفهمنا وأدراكنا لموقف الأوصياء والأئمة ، فالأئمة هم المسؤولون عن مسألة الصيانة، أيضاً أن مسألة الصيانة يكون لها مجالان :

المجال الأول :

هو صيانة نفس الرسالة من التحريف والتشويه والتغير في قيمها وأحكامها، كما وقع لكثير من الرسالات قبل الإسلام .

المجال الثاني :

هو أهم وأخطر وأصعب من ذلك وهو صيانة الأمة الرسالية من التميع والتذلل والتحول والإنحراف... ولا تحكمها الرسالة بل تحكمها أفكار ومفاهيم فاسدة ، غير صالحة هذا أيضاً المجال الثاني لمسألة الصيانة .

الدور المشترك لجميع أئمة أهل البيت"عليهم السلام" كان عبارة عن كيفية صيانة الرسالة كرسالة من التحريف ، وكيفية المحافظة على روح الإسلام في الأمة ، تلك الروح التي خلقها ورباها وأسسها النبي (ص) في هذه الأمة ، كيف يحافظوا على تلك الروح وكيف يحفظوا الإسلام المجسد في الواقع الخارجي الحي ويبقوه خالداً باقياً مع الناس، وتبقى الأمة الرسالية باقية وخالدة في عمود الزمان . هذا هو القاسم المشترك بين مواقف وأدوار الأئمة جميعاً ، والتغيرات التي نحن نجدها في مواقف هذا الإمام أو ذاك قلنا إنها ترجع إلى أختلاف الظروف التي كان يمر بها كل واحد من الأئمة ، هذه الظروف تختلف من زمن إمام إلى زمن إمام آخر ، وطبيعة الخطر المحدق بالرسالة والأمة الرسالية في زمن هذا الإمام تختلف عن طبيعة الخطر المحدق في زمن الإمام الآخر، أختلاف هذه الأخطار ونوعيتها وشكلها كانت تقتضي أيضاً أختلافاً في شكل الحلول والصيانة التي تتحمل عبؤها ومسؤوليتها الإمامة .

فأختلفت المواقف في زمن هذا الإمام عن المواقف في زمن ذاك الإمام، ثار أحد الإمامين وصالح والإمام الآخر ، أهتم بالجانب الفكري والتشريعي بالرسالة هذا الإمام وأهتم بالجانب السياسي والمعارضة والجهاد والقيام في وجه الظالمين الإمام الآخر ، هذا هو

الإطار العام الذي نفهم من خلاله حياه أئمتنا "عليهم السلام"، وقلنا من خلال هذا الإطار ندخل في تحليل ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونستوعب موقف الإمام الحسين عليه السلام وماذا كان يقصد في ثورته وكيف صان الرسالة الإسلامية في زمن إمامته عن الأخطار المحدقة بهذه الرسالة، وما هي أبعاد الصيانة وخصوصياتها ؟ هذا هو البحث الذي لا بد وأن ندخل فيه .

أبعاد صيانة الرسالة في حياة كل إمام :

قبل الدخول في هذا البحث نمهد ونتكلم في بعض المقدمات:

المقدمة الأولى :

سلوك الأئمة كأقوالهم حجة على الناس :

إن أئمتنا "عليهم السلام" من الناحية العقائدية نعتقد إن أفعالهم وأعمالهم وسلوكهم كأقوالهم حجة على العباد لا تختلف درجة أعتبار عمل الإمام عن قول الإمام ، بل درجة كحجية وأعتبار كلامه وقوله، إذن فعندما نبحث وندرس تحليل مواقف هذا الإمام أو ذاك الإمام لا نقصد من ذاك نريد أن نصحح فعل الإمام ونوجه ونبرر على أساسه صحة ثورة الإمام الحسين عليه السلام مثلاً، صلح الإمام الحسن عليه السلام وصحة

دعاء الإمام السجاد(عليه السلام)، لا نريد أن نعطي بهذه الأبحاث التوجيهات والتصحيحات لمواقف الأئمة "عليهم السلام" ، بل مواقفهم وأعمالهم حجة سواء فهمناها وأدركناها ووعينا أهدافها، أو لم ندرك هذه المواقف والأعمال، لأن السلوك الصادر من الإمام سلوك صادر من معصوم ، وسلوك المعصوم وعمله وتقريره كلها حجة وسنة يحتج بها في مقام الأعتبار والموقف الشرعي الصحيح .

إذن نحن لا نريد ولا ينبغي أن نريد بمثل هذه الأبحاث والتعليلات التأريخية لموقف أئمتنا "عليهم السلام" أن نعطي توجيهاً وتصحيحاً لمواقفهم وأعمالهم أعوذ بالله، عملهم هو الحجة لنا هو عين الصحة ومدار الصحة ، كما أن أقوالهم هي المدار والميزان وهي التي تبين وتفرق الحق من الباطل ، كذلك أعمالهم ومواقفهم وسلوكهم الأجتماعي ، هذه المواقف والأعمال كلها هي مقياس للفصل بين الحق والباطل وهي مقياس الحق ، فليس هذا البحث لذلك بل من أجل أن نستفيد ولنتعمق في فهم أدوار وحكم هذه المواقف ، نظير ما نفعله بالنسبة إلى بعض التشريعات والأنظمة الإسلامية مثل نظام الأقتصاد أو نظام الملكية في الإسلام ، من أجل أن نفهم حكمة هذا النظام وحكمة هذه المفردة من مفردات النظام الأقتصادي ونبين أن فكرة

ملكية الدولة في الإسلام هذه ما هي حكمها، وما هي الأغراض والأهداف من ورائها ، وما الأهداف الأقتصادية من ورائها من أجل أستيضاح الخلفية الموجودة من وراء هذا التشريع ، فهناك تشريعات إسلامية ، نحن بعض الأوقات أو في بعض المجالات نضطر إلى شرح خلفيتها وشرح حكمتها وآثارها....هنا أيضاً بنفس الروح والنفس نعالج دراستنا وبحثنا عن مواقف الأئمة "عليهم السلام"، فإذن نحن نريد أن نستفيد في تلقينا لهذه المواقف الصادرة من المعصوم ، بمقدار ما نتمكن من معرفتها وإذا لم نتمكن في موقف معين التعرف على كل أبعاد الحكمة المخبوئة من وراء ذلك الموقف هذا لا يعني أننا لا نجد ذاك الموقف موقفاً صحيحاً ، بل الموقف هو الصحيح ولكن عقولنا لم تصل إلى أدراك أبعاده، هذا هو المنهج الصحيح الذي على أساسه لا بد وأن تقوم كل الدراسات عن مواقفهم وأعمالهم وسلوكهم .

ولكن نحن في نفس الوقت نعتقد أن هذه المواقف التي وقفها الأئمة لم تكن مواقف أرتجالية "العياذ بالله" ، كما نعتقد بأن أحكام الشريعة لها حكم ومصالح ، وأن الله لم يصدرها أحكاماً بدون ملاكات ، وكل حكم من الأحكام الإلهية له ملاكات وراءها ربما تغفل البشرية عن أدراكها في مورد أو موردين ، إلاّ أنها بالتدريج خصوصاً

عندما تطبق الشريعة كاملة تستطيع أن تتعرف على الحكم من وراء التشريع ، كذلك نحن نعتقد أن مواقف الأئمة لم تكن مرتجلة وغير هادفة ... بل كانت مواقف هادفة خصوصاً في الوضع الأجتماعي، المواقف الأجتماعية والأدوار الأجتماعية التي قام بها الأئمة كانت كلها مواقف هادفة يستهدفون من وراءها هدفاً معيناً وتحقيق ما يمكن تحقيقه من فكرة الصيانة بالشكل المتناسب والمنسجم مع ظروف وطبيعة واقع الإمام المعاصر ، إذن فالإيمان والأعتقاد بحجية أعمال الأئمة ومواقفهم كأقوالهم ، هذا الإيمان كما يمنعنا من التحليل والتفسير التبريري لمواقفهم ، كذلك لا ينبغي أن يجعلنا هذا المبدأ أن نفهم المواقف والادوار والسلوك الفردي ، قام به الإمام المعين كسلوك مرتجل وغير هادف وليس من ورائه أي غاية ونتيجة كان يقصدها الإمام ، بل في نفس الوقت الذي نعتقد بأن أعمالهم كلها حجة وصحيحة بل هي عين الصحة والصواب في نفس الوقت نعتقد أن هذه الأعمال وهذه المواقف كانت من ورائها أهداف وكانت طريقاً إلى حفظ الإسلام وصيانة الأمة الرسالية ، وإنها لم تكن مواقف بلا أهداف، أو لم تكن مواقف ناتجة من حالات خاصة وأمزجة شخصية، من موقع قلبي أو عاطفي أو أجتماعي معين، هذه القضايا كلها لا

يمكن القبول والمساعدة على شيء منها بل كانت جميعاً هذه المواقف في سبيل وفي طريق هدف الصيانة .

من خلال هذه المقدمة نحن نريد أن نصل إلى هذه النتيجة، أن مواقف الأئمة وأدوارهم موّجهة على كل حال ، ونحن لا نريد أن نعطيها توجيهاً وأنها في نفس الوقت مواقف هادفة من ورائها حكّم وأهداف كان الأئمة يخططون للوصول إليها، خصوصاً في الحقل الأجتماعي في عملية التغير الأجتماعي والقيادة الأجتماعية التي كانوا مكلفين بها .

ونحن في هذه الدراسات والتحليلات والتعليلات لمواقفهم وأدوارهم أو لسائر الأدوار التي قام بها الأئمة ، نريد أن نستزيد فهماً لهذه الحكم الموجودة وراء هذه الاعمال الصادرة من هؤلاء المعصومين ، لنستفيد ونهتدي بتلك الحكم في منهجنا ، وننتهج سلوكاً يحفظ نفس الأهداف التي خططوا لها وأستهدفوها من وراء تلك المواقف .

المقدمة الثانية :

فقدان البحوث التحليلية لتأريخ أئمتنا "عليهم السلام":

إن التحليلات التاريخية والبحوث التاريخية عن حياة أهل البيت والأئمة "عليهم السلام" ، بحوث فيها كثير من نقاط الضعف والفراغ .

هذه البحوث الموجودة في كتب التاريخ التي يطالعها الإنسان عندما يراجع كتب التأريخ والسّير ، غالباً ما تقتصر على سرد الأحداث التاريخية أو سّرد جملة من الاحداث والوقائع التي حدثت في زمن هذا الإمام أو ذاك الإمام ، أو سرّد المناقب الخاصة لهذا الإمام أو لذاك ، طبيعة هذا السرّد طبيعة نقل الحادثة ونقل الواقعة كمجرد تاريخ نقل حادثة تاريخية مجردة ، أي نقل شيء مبهم ، لا يعطي معنى إيجابي حي فنقل تلك الحادثة أو ذاك الموقف أو هذه المنقبة التي حدثت في زمن هذا الإمام ، لا يفيد في توضيح خلفية هذا الحادث وأيجابياته ومعطياته ، هذه الحادثة وقعت لماذا ؟ هذا الموقف صدر لأي هدف من الإمام ؟ النقل التاريخي لا يبّين هذه النقطة، لا يتكفل إلا بنقل الصورة التي وقعت ، النية الموجودة من ورائها في أغلب الأحيان لا تصل إليها نظارة النقل التاريخي ، هذه بحاجة إلى طبيعة أخرى من البحث وهو ما يسمى بالتحليل التاريخي طبيعة أخرى من البحث بحاجة إلى جمع

مفردات وشواهد عديدة وأيجاد ترابط بين هذه الأحداث التاريخية وأستكشاف الأهداف والخلفيات من مجموعة هذه الأحداث ، من خلال جمع أحداث تاريخية وتنظيمها في نسق واحد لتكون دلالة فاعلة تستوضح لنا الأهداف والغايات المرتقبة من خلال مواقف أئمتنا، فهناك مجرد عملية نقل تاريخي وهو التاريخ ، وهناك تحليل للتاريخ ، والذي يعنى أستكشاف الخلفيات وأستكشاف النوايا، وأيجاد الترابط بين هذا الحدث أو ذاك الحدث من خلال هذا الموقف وذاك الموقف ، نستطيع أخراج صورة متكاملة وفيها الأسس والنتائج والأسباب والعلل ، هذه الناحية من الدراسة التاريخية غير موجودة في كتب التاريخ ، التي تقتصر عادة على النقل التاريخي ومجرد تأريخ الحادثة وذكرها ، إضافة إلى أن هذه النقول التاريخية :

أولاً : ليست مضبوطة مائة بالمائة فيها الكثير من التغيرات والتلاعب والأشتباه ، أو الدس والتزوير .

ثانياً : ليست مستوعبة لكل المفردات التي صدرت من هذا الإمام أو ذاك الإمام وليس تمام ما صدر في حياة هذا الإمام أو ذاك، هناك فترات من حياة الأئمة أصلاً لا نملك في كتب التاريخ أي خبر عنها ، وضع الإمام المعين في فترة معينة من التأريخ وماذا كانت

سلوكيته وديدنه لا يوجد شيء عنه ، مسكوت عنه في كتب التاريخ، فهذه النقول التاريخية من ناحية أخرى ليست مستوعبة لكل المفردات .

ثالثاً : ظروف الأئمة "عليهم السلام" حيث كانت مبتلات من حيث المواجهة ، وحالة المراقبة من قبل الطواغيت والسلطات الظالمة كانت ظروف تقية ، ظروف التقية كانت كثيراً ما تجعل القضايا الأساسية وكثير من الحلقات التي تستطيع أن تفسر وتشرح لنا الخريطة الكاملة لهدف الإمام ، تلك الحلقات تبقى مستورة تحت ستار التقية لأن الإمام غير مستعد أن يبرز تلك الحلقات والمواقف وتلك الخصوصيات لكل أحد ، كانت تبقى مستورة حسب الظروف الصعبة والشديدة التي كانوا يمرون بها ، وهذا أيضاً يجعل هناك نقطة فراغ أخرى وأكبر مما سجله التأريخ عن حياة أئمتنا "عليهم السلام" ، فهناك قضايا كثيرة نحن لا نعلم أنها كانت قضايا تصدر من الأئمة لكن بحاجة إلى حلقات مفقودة ، هذه الحلقات ، في كتب التاريخ – على الأقل – مفقودة قد يستكشفها الباحث التاريخي أستكشافاً بالحدس بحدسه أو على أساس عقيدة خاصة وهي مفقودة في كتب التاريخ .

إذن هذه نقطة فراغ ثالثة موجودة في الكتب التأريخية وما تسجله لنا عن حياة أئمتنا "عليهم السلام" .

رابعاً : وهي نقطة مهمة لفهم الخريطة التي كان يخطط لها هذا الإمام أو ذاك الإمام ، فهمها بالشكل الكامل – في نظري – تتوقف على أن يكون الإنسان له خلفية صحيحة وله تلق صحيح للإمام ومعنى الإمام ، موقع الإمام في الأمة بحيث الأشخاص والفرق الذين لا يعرفون الإمام حق المعرفة ولا يعرفون معنى إمامتهم ، ولا يعرفون موقع الأئمة من الرسالة وموقعم الرسالي قد لا يستطيعون أن يفهموا جملة من النوايا والتخطيطات والأهداف التي كان يقصدها الإمام ، في نظري أن هذه النقطة هي السبب في أن الباحثين الجدّد الذين قد طرقوا هذا اللون من البحوث التحليلية لا النقليه حيث إنها بدأت منذ فترة في العالم ، وأيضاً تسربت إلى عالم المسلمين ، إلى المكتبات الإسلامية والثقافة الإسلامية حيث توجد دراسات حديثة عن حياة الأئمة ، أو تاريخ بعض الأئمة بشكل تحليلي يحاولون خلالها أن يحللوا ويستوضحوا ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، يبينوا أهدافها وأسبابها وعللها ونتائجها خصوصاً البحوث الأستشراقية منها ، حيث إن الطبيعة الجديدة للبحث العلمي التاريخي بدأ بأستثناء مقدمة أبن

خلدون، يقولون إنه أيضاً فيه هذا الجانب ، هناك دعوى أن هذه المقدمة تتميز عن سائر الكتب التاريخية في أنها تحليلية وأن أبن خلدون أول من أستعمل هذا الأسلوب العلمي والتاريخي في دراسة التاريخ ، إلا أن شيوع هذا النحو من الدراسة التاريخية بدأت في الغرب أولاً ، ثم أنتقلت إلى عالم المسلمين ، فهناك دراسات للمستشرقين أو للمفكرين المسلمين أنفسهم ، دراسات لبعض الأئمة لثورة الإمام الحسين عليه السلام على الخصوص ، هذه دراسات بحسب منهجيتها منهجية تحليلية ، لا سردية ، لا تقتصر على سرد التاريخ وتبدأ بتحليل التاريخ، إلا أننا نجد الباحثين في هذه الدراسات لم يكونوا على أطلاع وإيمان بمبدأ الولاية ومعنى الإمام الولاية ، لم يكونوا على أطلاع بتراث أهل البيت "عليهم السلام" ولم يكونوا متربين في مدرسة أهل البيت "عليهم السلام" ، في كثير من الموارد بل في كثير الأحيان يخطأون في تحليلهم ، ويحاولون أن يربطوا قصة الإمام الحسين عليه السلام بعلل شخصية مثلاً ، إنه أمتداد لصراع بين هاشم وبين أميه ... أو يفسرون ثورته بعلل مزاجية ، أن الإمام الحسن عليه السلام كان مزاجه مزاجاً خاصاً والإمام الحسين عليه السلام مزاجه كان مزاجاً آخر ، وهكذا في طبيعة تحليلاتهم حيث إنهم لا يؤمنون بالعقيدة الخاصة في حقل الأئمة "عليهم

السلام" ، وأيضاً لم يتربوا في مدرسة الأئمة فلا يستطيعوا أن يعطوا التفسير الصحيح لموقف هذا الإمام أو ذاك الإمام .

إذن أعطاء التفسير الصحيح والمعمق لمواقف الأئمة لا بد وأن يكون الشخص الباحث ليس فقط على تماس وصلة بمعتقدات الإمامية بل من الأشخاص الذين لهم أطلاع حقيقي وتربية حقيقية بمدرسة أهل البيت "عليهم السلام" وتراثهم من خلال هذه المدرسة وتراث ومبادئ المدرسة وقيمها ومفاهيمها..... يستطيع الإنسان أن يعطي التفسير الصحيح وإلاّ يتخبط كما تخبط هؤلاء في محاولاتهم لتفسير مواقف أئمة أهل البيت"عليهم السلام" كفشلهم في تقييم الثورة الحسينية المباركة ، فهذه لا تصدر من إنسان أعتيادي ، عن ناس غير كاملين أصلاً وغير متربين تربية رسالية كاملة ، فضلاً من أن يكون إنساناً معصوماً مثل الإمام الحسين عليه السلام، إذن في هذه النقطة الثانية ، نحن نؤكد على أهمية التحليل التاريخي والدراسة التحليلية لمواقف الأئمة ، والدراسة التي تحاول أن تكشف خلفيات وأبعاد وأهداف حركه هذا الإمام وتحرك ذاك الإمام ، في نفس الوقت ينبغي أن نعلم أن هذا التحليل ما يضمن لنا أن يكون صحيحاً هو أن نكون على قرب من مدرسة آل البيت"عليهم السلام"، على ان نستخلص ونستخرج هذا

التفسير من خلال المفاهيم التي وضعوها هم والأمور التي بينوها هم أيضاً ، ولا نقتصر على الأستفادة مما تسجله الكتب التاريخية العامة من الوقائع والأهداف المطلوب جمع المفردات التأريخية وصياغتها صياغة حية، لأستخراج التحليل التاريخي الفعّال أو التفسير التاريخي المعطاء لموقف الإمام الحسين عليه السلام الثائر أو لصلح الإمام الحسن عليه السلام الواقي .

المقدمة الثالث : **ثورة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة متكاملة**

إن الإمام الحسين عليه السلام وموقفه أو ثورته فيها جوانب كثيرة ، في الواقع مدرسة كاملة ، الإنسان من خلال دراسته لهذه الثورة يمكنه أن يطلع على أكثر قيم ومثل الرسالة الإسلامية مجسدة في أعمال هذا الثائر الإلهي ، وأعمال أصحابه ومواقفهم ، الثورة أجل وأعظم من أن تحيطها الألباب أو الوقائع والتحليلات ، الرسالة كلها مجسدة فيها، بكل قيمها ومبادئها ، وإذا أرادأحد أن يشرح ما فيها من الحكم والدلالات وما كانت لها من النتائج يستطيع أن يستخلص من هذه الثورة كل المبادئ الخيرة والمفاهيم الإسلامية المعطاة ، لأنها كلها كانت موجودة في الإمام المعصوم وأصحابه ، كلها كانت موجودة في تفاصيل

ثورته وجزئيات حركته ، وهذه سوف تكون مسألة كبيرة وواسعة، ونحن لا نستطيع أن نؤدي ونتحمل عبء هذه المسئلة بهذا الشكل، هذا معناه أن نستخلص الرسالة الإسلامية كلها من خلال ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، لأن هذه الثورة المباركة والمقدسة لها هذا العمق وفيها هذا المقدار من العطاء ، ولهذا قال النبي(ص) : (**حسين مني وأنا من حسين**) [١].

واقعاً ثورة الإمام الحسين عليه السلام فيها كل رسالة النبي محمد(ص)، فيها النبي محمد(ص)كله إلاّ أننا سوف نقتصر في البحث على جانب ضئيل بضالة أنفسنا وأدراكنا ومفهومنا وقصورنا، نقتصر على جانب فقط من جوانب الثورة المباركة ، وهذا الجانب هو الجانب الاجتماعي السياسي ، نريد أن نبحث ، عن أن هذه العملية الضخمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ، من الناحية العملية والسياسية ماذا كان يستهدف الإمام من ورائها سياسياً واجتماعياً ؟ قلنا إن أعمالهم ومواقفهم هادفة ، فهذه الثورة كان لها هدف من نظر الإمام الحسين عليه السلام ، ما هو هذا الهدف الاجتماعي والسياسي الذي كان يستهدفه[٢] ، نحن نحاول

(١) سنن الترمذي ج ٥ : ٣٢٤ ؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ : ١٧٧ .
(٢) تكملة هذا البحث طبع تحت عنوان ((محاضرات في الثورة الحسينية)) .

أن نقتصر في حديثنا على هذه النقطة وهذا الجزء من أجزاء مدرسة الإمام الحسين عليه السلام .

الحمد لله رب العالمين

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
المحاضرة الأولى	٦
لماذا عبرت الآية بالأجر	١٦
معطيات مبدأ المودة.....	٢٠
المحاضرة الثانية	٢٦
معطيات آية المودة	٣٧
موقع الرموز البشرية في التربية الربانية	٤١
المحاضرة الثالثة	٤٧
مبدأ المودة لأهل البيت هدف ووسيلة	٤٨
منهج الأنبياء في تربية الإنسان	٥٠
أقامة العدل في الأرض بحاجة إلى رسالة صحيحة وقدوة صالحة	٥٨

المحاضرة الرابعة ٦٩
الدور الرسالي لأئمة أهل البيت"عليهم السلام"..... ٧١
لماذا الاختلاف بين الأئمة في موافقهم السياسية ٧٩
المحاضرة الخامسة ٨٧
ابعاد صيانة الرسالة في حياة كل إمام ٩٠
المقدمة الأولى : سلوك الأئمة كأقوالهم حجة على الناس.. ٩٠
المقدمة الثانية : فقدان البحوث التحليلية لتأريخ أئمتنا..... ٩٥
المقدمة الثالثة : ثورة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة متكاملة ... ١٠١
الفهرست ١٠٤